International Islamic University

Islamabad – Pakistan

Faculty of Usuluddin

Dept. Tafseer & Quranic Sciences

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد – باكستان

كلية أصول الدين

قسم التفسير و علوم القران

أحوال القلوب وعلاج عللها

في ضوء القران الكريم

(دراسة موضوعية)

البحث التكميلي لنيل درجة ماجستير الفلسفة في التفسير و علوم القران

المشرف على الرسالة

الدكتور حبيب الرحمن عاصم

أعده الطالب:

منصور ظهور

رقم التسجيل: 536-FU/MSTQS/F12

العام الجامعي

1439 هـ - 2017

International Islamic University CENTRAL LIBRARY Islamabad

15-2-2019

Accession No TH:18575

MS

۲۹۷ ، ۱۲۲۰۷

م ن أ

قرآنِ کریم - موضوعات

قرآنِ کریم - قلوب

قرآنِ کریم - علل

قرآنِ کریم - علاجے

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع

إلي

سيدنا وحبيبنا محمد رحمة الله للعالمين عليه أفضل الصلاة والتسليم وعلي آله وصحبه أجمعين

وإلي

عباد الله المخلصين الصالحين

وإلي

والدي الذين رباني صغيرا وهينا لي أسباب الراحة والسكون ويسرا لي طريق العلم والمعرفة وأعاناني بي في كل مشكلة

وإلي

إخوتي الأحباء وأصدقائي

أسأل الله تعالي أن يجزيهم أحسن الجزاء في الدارين.

آمين يارب العالمين

كلمة الشكر والتقدير

ومما لاشك فيه من السهل إنجاز هذا البحث لولا توفيق الله سبحانه وتعالي وفضله ، فله الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات ، وله المنة أولا وآخرا ، ثم أتقدم بباقة أزهار الشكر والتقدير والإمتنان إلي كل من أسهم في تقديم أي عون ومشورة لي حتي ظهر هذا البحث إلي حيز الوجود بهذا الشكل.

وأسجل فائق شكري وتقديري لأستاذي الكريم الجليل فضيلة الشيخ الأستاذالدكتور حبيب الرحمن عاصم حفظه الله الكريم الغفور ، الذي تفضل بالإشراف علي هذه الرسالة ، وساعدني بإرشاداته البليغة ونصائحه القيمة في إعدادها.

وفي هذا الضمن لا أنسي خدمات إخوتي الأحباء ، فجزاهم الله عني أحسن الجزاء في الدارين.

وصلي الله علي حبيبه سيدنا محمد وآله وأصحابه وبارك وسلم تسليما كثيرا كثيرا.

الطالب: منصور ظهور

بسم الله الرحمن الرحيم

① المقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم تنزيله: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)1 والقائل: (وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)2

ثم الصلاة والسلام على رسول الله الأمين، الذي اصطفاه ربه وزكاه وطهر قلبه ولسانه وجسده وروحه، وبعثه رحمة للمؤمنين، وهدى لقلوب العالمين، القائل في هديه الشريف: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"[3]، وعلى آله وأصحابه الذين طهروا قلوبهم من أدران الشرك والجهل وعمروها بنور اليقين والعلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أهمية الموضوع:

فقد ذكر الله تعالى القلوب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة- في اثنين وثلاثين ومائة موضع، في ثلاث وأربعين سورة، في أربع وعشرين ومائة آية منها[4]، وبين خلال تلك الآيات الكريمة أنواع القلوب وصفاتها الحسنة، وحدد أمراضها، وأشار إلى طرق علاجها:

كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾5وقوله تعالى: (أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَىَ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)6، وقوله عن المنافقين: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)7

سورة: الأنفال – الآية: 124:

سورة: التغابن – الآية: 2.11:

3 – جزء من حديث طويل رواه البخاري (19/1)، كتاب الإيمان، باب (39) فضل من استبرأ لدينه. ومسلم (1219/3–1220)، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات برقم (1599)، عن النعمان بن بشير.

4 – انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص549–551، مادة (قلب).

5:سورة: الأنفال – الآية: 2،

6:[سورة: الزمر – الآية:22

7–سورة: البقرة – الآية: 10.

كما أن القلب محل النية والقصد، وكل أعمال العبد موقوفة على نيته وقصده، فإن سلمت النية واتَّبع النَّبيَّ □ سلم العمل وأصبح مقبولا، عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ □ يَقُولُ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومَن كانت هجرته إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)[8].

وأن القلب محل الإيمان، وموضع الإخلاص،/ قال تعالى: (لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدّونَ مَنْ حَآدَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوَاْ آبَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مّنْهُ)9، وتصديق القلب وإقراره هو محل الإيمان، وحركاته وأعماله من: خوف ورجاء ومحبة وتوكل وخشية وغيرها هي من أعظم أركان الإيمان، وبتخلفها يتخلف الإيمان، وهاهم المنافقون يقولون الشهادة بألسنتهم، ويشاركون المسلمين في أعمالهم الظاهرة، ولكنهم بتخلف إقرارهم وتصديقهم أصبحوا كافرين، كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّها الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُم﴾10، وقوله تعالى: (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)[11]، وعليه فإن أصل الإيمان في القلب، وأن الإيمان لا يثبت لأحد حتى يدخل قلبه ويوقن به[12].

---

8 – رواه البخاري كتاب بدء الوحي ح (1)، ومسلم كتاب الإمارة، باب إنما الأعمال بالنية، ح رقم (3530).

9–سورة: المجادلة – الآية: 22

10: سورة: المائدة ، الآية: 41

11:سورة: آل عمران – الآية: 167

12 – انظر: امتحان القلوب لناصر العمر ص5 وما بعدها.

أسباب اختيار الموضوع:

1. شوقي و رغبتي المفرطة في معرفة معاني آيات القرآنية و تفسيرها.
2. احوال القلوب في القران الكريم رغبتني في جمع هذا الموضوع و دراسته.
3. إثراء المكتبة الإسلامية بهذه اللبنة.
4. عدم وجود موضوع يغطي هذا البحث القرآني.

الدراسات السابقة:

لم أعثر وفق ما بحثت على رسالة علمية مستقلة حول هذا الموضوع إلا أن هناك بعض الرسائل كتبت عن أحوال القلوب.

أسئلة البحث:

أحوال القلوب في القران الكريم كثيرة و متعددة ولكن

- كيف ذكرت أحوال القلوب في القران الكريم؟
- ما هي امراض القلوب وما علاجها؟
- احوال القلوب وأثرها علي أفراد المجتمع؟
- أهمية القلب في حياة الانسان؟

إن كل هذه الأسئلة سأجيب عنها إن شاء الله في بحثي هذا وفق الخطة المرسومة.

منهج البحث:

سأتبع في هذه الدراسة المنهج الموضوعي الاستقرائي و أدرسه دراسة موضوعية خلال القران الكريم.

خطوات البحث:

- ذكر الآية و عزوها إلى مواضعها من القران الكريم مع ذكر اسم السورة و رقم الآية.
- تخريج نصوص الأحاديث والآثار الموقوفة على الصحابة و غيرهم.
- ترجمة الأعلام الواردة في البحث باختصار.
- توضيح بعض المفردات الغريبة.
- تعريف بأسماء الأماكن والبلدان.
- تذييل البحث بعدة فهارس، أولها للآيات، وثانيها للأحاديث، وثالثها للأعلام المترجم لهم، ورابعها للمصادر و المراجع، وخامسها لموضوعات الرسالة.

خطة البحث:

جعلت البحث في مقدمة وثلاثة فصول و خاتمة و فهارس.

المقدمة:

وتشتمل على أهمية الموضوع و أسباب اختياره، وأسئلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطوات البحث، وخطة البحث.

التمهيد:

معنى القلب وبيان الفرق بين المصطلحات التي يظن ترادفها في الموضوع

الفصل الأول: أنواع القلوب.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: القلب السليم.

المبحث الثاني: القلب المريض.

المبحث الثالث: القلب المطبوع عليه.

المبحث الرابع: القلب القاسي الميت.

الفصل الثاني: أمراض القلوب وأثرها على الفرد والمجتمع.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: النفاق وأثره

المبحث الثاني: قساوة القلب وأثرها.

المبحث الثالث: الحقد على الآخرين وأثره .

المبحث الرابع: الشك والريبة وأثرهما.

الفصل الثالث:علاج أمراض القلوب وأثرها على الفرد والمجتمع.

وهذاالفصل يشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الاول: علاج أمراض القلوب بالذكر والتلاوة

المبحث الثاني: علاج أمراض القلوب بالخوف والرجاء

المبحث الثالث: علاج أمراض القلوب بالرحمة والرأفة

المبحث الرابع: التدبر والاعتبار بالآخرين

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

الفهارس العلمية:

فهرس الآيات القرانية الكريمة.

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد:

القلب لغة واصطلاحا:

أولاً :تعريف القلب لغة:

(قَلَبَ) الْقَافُ وَاللَّامُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ الأول: الْقَلْبُ والثاني: الْقَلَبُ، كما ذكر ابن فارس(1) في مقاييس اللغة :

" الْقَافُ وَاللَّامُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خَالِصِ شَيْءٍ وَشَرِيفِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى رَدِّ شَيْءٍ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ. فَالْأَوَّلُ الْقَلْبُ: قَلْبُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، سُمِّيَ لِأَنَّهُ أَخْلَصُ شَيْءٍ فِيهِ وَأَرْفَعُهُ. وَخَالِصُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَشْرَفُهُ قَلْبُهُ... والقَلاب: داء يصيب البعير فيشتكي قلبه. والقلب من الأسورة: ما كان قلبا واحدا لا يلوى عليه غيره. وَهُوَ تَشْبِيهٌ بِقَلْبِ النَّخْلَةِ. ثُمَّ شُبِّهَ الْحَيَّةُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْحَلْيِ فَسُمِّيَ قَلْبًا. وَالْقَلْبُ: نَجْمٌ يَقُولُونَ إِنَّهُ قَلْبُ الْعَقْرَبِ. وَ قَلَبْتُ النَّخْلَةَ: نَزَعْتُ قَلْبَهَا. وَالْأَصْلُ الْآخَرُ قَلَبْتُ الثَّوْبَ قَلْبًا. وَالْقَلَبُ: انْقِلَابُ الشَّفَةِ، وَهِيَ قَلْبَاءُ وَصَاحِبُهَا أَقْلَبُ. وَقَلَبْتُ الشَّيْءَ: كَبَبْتُهُ، وَقَلَّبْتُهُ بِيَدِي تَقْلِيبًا. وَيُقَالُ: أَقْلَبَتِ الْخُبْزَةُ، إِذَا حَانَ لَهَا أَنْ تُقْلَبَ. وَقَوْلُهُمْ: مَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالُوا: مَعْنَاهُ لَيْسَتْ بِهِ عِلَّةٌ يُقْلَبُ لَهَا فَيُنْظَرُ إِلَيْهِ.(2)

ويقول الراغب الأصفهاني(3):

قَلْبُ الشيء: تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه، كقلب الثّوب، وقلب الإنسان، أي: صرفه عن طريقته. قال تعالى: (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) (1). والِانْقِلابُ: الانصراف، قال: (انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ

1- هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. ولد في سنة 329هـ.أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي بها في سنة 395هـ، وإليها نسبته. انظر: الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م، (1 / 193)

2- معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)المحقق: عبد السلام محمد هارون، (17/5).

الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م. (5 / 17)

3- هو الحسين بن محمد بن المفضل، 63أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. وتوفي في سنة 502 هـ. من كتبه (المفردات في غريب القرآن - ط) و (حلّ متشابهات القرآن - خ) وغيرها. انظر: كشف الظنون (36/1).

يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْه) (2)، وقال: ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ ﴾(3).....وقَلْبُ الإِنْسان قيل: سمّي به لكثرة تَقَلُّبِهِ، ويعبّر بالقلب عن المعاني التي تختصّ به من الرّوح والعلم والشّجاعة وغير ذلك، وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ﴾(4) أي: الأرواح. وقال: ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾(5) أي: علم وفهم، وكذلك: ﴿وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾(6) ، وقوله: ﴿وَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾(7) ، وقوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾(8) أي: تثبت به شجاعتكم ويزول خوفكم.(9)

والقَلْبُ: مُضْغةٌ مِنَ الفُؤَاد مُعَلَّقةٌ بالنِّياطِ. ابْنُ سِيدَهْ: القَلْبُ الفُؤَاد، مُذَكَّر، صَرَّح بِذَلِكَ اللِّحْيَانِيُّ، وَالْجَمْعُ: أَقْلُبٌ وقُلوبٌ، . وَقَدْ يُعَبَّرُ بالقَلْبِ عَنِ العَقْل، قَالَ الفراءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ﴾؛ أَي عَقْلٌ.

يقول الأزهري:(10)"وَرَأَيْت من الْعَرَب من يُسمّي لحمةَ الْقلب بشحمها وحِجابها قَلباً، وَرَأَيْت بَعضهم يسمُّونه فؤاداً، وَلَا أنكر أَن يكون القَلْب هِيَ العَلَقة السَّوْدَاء فِي جَوْفه، وَالله أعلم، لأنَّ قَلْب كل شَيْء لُبه وخالصه". (11)

1- العنكبوت/ 21

2- آل عمران/ 144

3- الأعراف/ 125

4- الأحزاب/ 10

5- ق/ 37

6- الأنعام/ 25

7- التوبة/ 87

8- الأنفال/ 10

9- المفردات في غريب القرآن، بو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ (1 / 681) انظر: لسان العرب (1 / 687):

10- هو محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والأدب، ولد في سنة 282هـ وتوفي سنة 370هـ في هراة بخراسان. نسبته إلى جده " الأزهر " ومن كتبه " غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء – خ " و " تفسير القرآن " و"فوائد منقولة من تفسير للمزني – خ " الأعلام للزركلي (5 / 311):

11- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)،المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م (9 / 143)

وقيل: القلب أخص منه أي الفؤاد في الاستعمال، لانه معنى من المعاني يتعلق به ويشهد له حديث عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " أَهْلُ الْيَمَنِ أَرَقُّ قُلُوبًا، وَأَلْيَنُ أَفْئِدَةً، وَأَنْجَعُ طَاعَةً " (أتاكم أهل اليمن، هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا، وأَلْيَنُ أَفْئِدَةً) (1)فوَصَفَ القلوبَ بالرِّقة، والأَفْئِدَةَ باللِّين. وكأَنَّ القَلْبَ أَخَصُّ مِنَ الفؤَادِ فِي الِاسْتِعْمَالِ، وَلِذَلِكَ قَالُوا: أَصَبْتُ حَبَّةَ قلبِه، وسُوَيْداءَ قَلْبِهِ.(2)

وَقِيلَ: القُلُوبُ والأَفْئِدَةُ قريبانِ مِنَ السواءِ، وَكَرَّرَ ذِكْرَهما، لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ تأْكيداً. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سُمِّيَ القَلْبُ قَلْباً لتَقَلُّبِه: قَالَ الفراءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ}(3) ؛ أَي عَقْلٌ. قَالَ (الفراءُ(4)): وجائزٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَن تقولَ: مَا لَكَ قَلْبٌ، وَمَا قَلْبُك مَعَكَ؛ تَقُولُ: مَا عَقْلُكَ معكَ، وأَين ذَهَبَ قَلْبُكَ؟ أَي أَين ذَهَبَ عَقْلُكَ؟ وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أَي تَفَهُّمٌ وتَدَبُّرٌ.(5)

ثانيا: تعريف القلب اصطلاحا:

اختلف العلماء في بيان معنى مصطلح القلب وسبب اختلافهم هو؛ أن كل واحد منهم ينظر هذا المصطلح من نواحي مختلفة فالبعض ينظر من الناحية المادية العضوية، والبعض ينظر له من الناحية الوجدانية المعنوية. كما صرح الإمام أبو حامد الغزالي (6)بقوله: القلب يطلق لمعنيين: أحدهما اللحم المعروف الذي يضخ الدم والثاني: هو لطيفة ربانية..ﻫ

1- مسند أحمد= مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، (28 / 625)

2- (لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ (1 / 687)

3- [ق: 37]

4- هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ولد بالكوفة سنة 144هـ، واشتهر بالفرّاء، وتوفي في طريق مكة في سنة 207هـ. من كتبه " المقصور والممدود - خ " و " المعاني " ويسمى " معاني القرآن - ط " ، و " المذكر والمؤنث - ط " وكتاب " اللغات " .انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ، (154/14).

5- لسان العرب، للأفريقي (1 / 687) وانظر: تهذيب اللغة، للأزهري(9 / 143)

6- هو محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى تصانيف. مولده 450هـ ووفاته550هـ في الطابران (قصبة طوس، بخراسان). انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (27/12)،

القلب من الناحيه المادية العضوية:

يقول الإمام أبو حامد الغزالي: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلاً عن الآدميين. (1)

القلب عبارة عن مضغة عضلية في حجم قبضة اليد، وهو يضخ الدم بسرعة خلال الجهاز الوعاعي، والقلب يقع في التجويف الصدري، وينبض باستمرار حوالى 70 إلى 80 نبضة كل دقيقة، وينظم هذا المعدل تبعا لظروف الجسم المتغيرة، ويضخ القلب الدم في الأوعية الدموية التي تتفرع لأصغر فأصغر، حتى تصبح كل خلية من خلايا الجسم تقريبا، قريبة من شعيرة دموية، مما يسمح بتبادل العناصر الغذائية والأكسيجن. (2)

القلب من الناحية الوجدانية المعنوية:

القلب: لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، ويسميها الحكيم: النفس الناطقة، والروح باطنه، والنفس الحيوانية مركبة، وهي المدرك، والعالم من الإنسان، والمخاطب، والمطالب، والمعاتب. (3)

يقول الإمام أبو حامد الغزالي: هو لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بهذا القلب الجسماني وهذه اللطيفة هي حقيقة الإنسان، والمدرك العام العارف منه، والمخاطب بالتكليف، والمجازي عليه. (4)

يعرّف الشيخ سعيد حوي(5) بقوله: ترد كلمة القلب في الكتاب والسنة كثيرا، وكثيرون من الناس يغلطون في شأنها، وباختصار نقول: إن هناك قلبا محسوسا لكل الناس يشترك فيه الإناس مع كثير

1- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت (3 / 3)

2- (علم حياة الإنسان للدكتور مدحت حسين، ط: مؤسسة الثقافة الجامعية، تاريخ النشر: 1998م، ص315)

3- (التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م (1 / 178)

4- إحياء علوم الدين، للإمام الغزالى (3 / 3)

5- هو سعيد بن محمد ديب حوى. من علماء المعاصرين، ولد في حماة 1935م في حي العليليات جنوب حماة. فانضم إلى الإخوان عام 1952م وهو في الصف الأول الثانوي. سجن خمس سنوات، من 5 / 3 / 1973م إلى

من المخلوقات هو القلب الدموي، هذا القلب الذي له وظيفة المضخة الدموية هو مركز لقلب آخر هو مركز الأحاسيس الوجدانية، من حب وبغض وحقد وسماحة وخوف وأمن، وهذه القضايا كذلك محسوسة لكل الناس، إذ كل الناس يحسون بشيء من هذه المعاني في قلوبهم.

هذا القلب الثاني هو محل الإيمان الذوقي، وهو محل الكفر والنفاق كذلك وههنا نجد أمورا محسنة عند بعض الناس وغير محسنة عند الآخرين، فأهل الإيمان يحسون بمعان كثيرة في قلوبهم، هذه المعاني لا يحس بها الكافرون، لأن هذا الجانب في قلوبهم ، هذا القلب المرتبط بالقلب الدموي ليس هو عين القلب الدموي، بدليل أن الذين أجريت لهم عمليات استئصال لقلوبهم، وأعطوا قلبا آخر، لم تتغير أحاسيسهم....، هذا القلب في المصطلح الشرعي يمرض ويصح ويعمى ويصم....، هذا القلب في المصطلح الشرعي مقره الصدر، لا كما توهم بعضهم أن مقره الدماغ، قال تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} (1) فحدد مكانها في الصدور. (2)

والشيخ حوي أيضا يعين رأي الإمام الغزالي بأن المراد من القلب في القرآن والسنة الذي هو مركز الإيمان وسبب التكاليف حيث قال: إن التركيز على قضية القلب من أهم ملامح التربية القرآنية والنبوية، وقد أهمل الناس هذا إلا القليل، والقليل عنده دخن كثير إلا أقل القليل، ولان الجزء الأكبر من التكاليف الربانية منوط بالقلب، فإن على الإنسان أن يتنبه لذلك. (3)

ويتبين من الأقوال السابقة بان المراد من القلب هو اللطيفة الربانية التي تعقل وتفهم وتحب وتغضب، وتؤمن وتكفر، وتوافق وتصالح، وله اتصال بالقلب البشري المحسوس المكون من مضغة عضلية، وله اتصال أيضا بالدماغ وسائر أعضاء الإنسان.

---

29 / 1 / 1978م. – ألف في السجن (الأساس في التفسير) 11مجلداً. وتوفي الشيخ يوم الخميس 1 شعبان 1409هـ الموافق 9 آذار 1989م، انظر: http://www.saidhawwa.com.

1- [الحج: 46]

2- (الأساس في التفسير، لسعيد حوي، ط: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط:1، 1405هـ، ج1، ص81)

3- (الأساس في التفسير، لسعيد حوي، ج1، ص81)

بيان الفرق بين المصطلحات التي يظن ترادف في الموضوع:

عند التأمل في كتاب الله تعالى يجد الباحث بان ذكر القلب قد ورد بألفاظ مختلفة، التي تأتي على مفهوم القلب من الناحية الشرعية، وتلك الألفاظ هي: النفس، والصدر، والفؤاد، والعقل واللب، هذا إن دل فإنما يدل على أهمية البالغة لهذا العضو في حياة الإنسان ومصيره، في الدنيا والآخرة. ودل أيضا على إعجاز القرآن، حيث استخدم تلك الألفاظ بحسب ما يقتضيه سياق الآيات بصورة يعجز عنها البشر والجن فكل كلمة في القرآن تناسب مكانها، وكل كلمة مقصودة لذاتها.

الفصل الأول: أنواع القلوب.

أذكر فيه التمهيد وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: القلب السليم.

المبحث الثاني: القلب المريض.

المبحث الثالث: القلب المطبوع عليه.

المبحث الرابع: القلب القاسي الميت.

التمهيد:

أنواع القلوب في القرآن الكريم

اختلف السلف في تعداد أنواع القلوب في القرآن الكريم، ففي رأي بعض العلماء أن القلوب المذكورة في القرآن الكريم هي على سبعة أنواع ومنهم الفيروزآبادي وسيأتي موقفه بالتفصيل، وفي رأي بعض العلماء أن القلوب المذكورة في القرآن الكريم هي على ثلاثة أنواع/ وفي هذا التمهيد أذكر تقسيمات العلماء ثم أذكر القول الراجح والصواب من الأقوال:

قال الفيروزآبادي[1]–رحمه الله: القلب ورد في القرآن على ثلاثة معان:

(١) **الأول**: بمعنى العقل، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ) [2].

(٢) **والثاني**: بمعنى الرأي والتدبير، ومنه قوله تعالى: (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ) [3]أي: آراؤهم مختلفة.

(٣) **والثالث**: بمعنى حقيقة القلب الذي في الصدور، ومنه قوله تعالى: (وَلَٰكِن تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [4][5].

1- هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والأدب. ولد في سنه 729هـ بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز. وتوفي سنة 817هـ في زبيد. انظر: الأعلام للزركلي (7 /147–146)

2- [ق – الآية: 37]

3- [الحشر – الآية: 14]

4 – [الحج – الآية: 46]

5 – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: 6

عام النشر: جـ 1، 2، 3: 1416 هـ - 1996 م، جـ 4، 5: 1412 هـ – 1992 م، جـ 6: 1393 هـ – 1973 م

289/4. بتصرف يسير.

؛ وانظر: زهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م نزهة الأعين النواظر ص483.

وقال –عن القلب الذي في الصدور–: وهذا النوع من القلب على سبعة أوجه[1]:

– **قلب الكافر**: قال تعالى: (إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) [2].

– **قلب المنافق**: قال تعالى: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) [3].

– **قلب العاصين**: قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) [4]. وقال تعالى: (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [5].

– **قلب خواص العباد**: قال تعالى: (مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ) [6]

– **قلب المحبين**: قال تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىَ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[7].

– **قلب الخائفين**: قال تعالى: (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْوَالصَّابِرِينَ عَلَىَ مَآ أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [8]. وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ آتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىَ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) [9].

– **قلب العارفين**: قال تعالى: (إِلاَّ مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [10].

---

1 – انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، 4/289-290.

2– [النحل – الآية: 22]

3– [البقرة – الآية: 10]

4– [الزمر – الآية: 22]

5– [المطففين – الآية: 14]

6– [ق – الآية: 33].

7– [ق – الآية: 37]

8– [الحج – الآية: 35]

9– [المؤمنون – الآية: 60]

10– [الشعراء – الآية:89]

قال الفيروزآبادي-رحمه الله: **في كتابه أقسام القلوب عند بعض المفسرين سبعة**[1]:

– **قلب الكافر** في غلاف وغطاء: قال تعالى: (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ) [2].

– **قلب المنافق** في حجاب الرياء: قال تعالى: (خَتَمَ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىَ سَمْعِهِمْ وَعَلَىَ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ) [3].

– **قلب المبتدع** في الزيغ والهوى: قال تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) [4].

– **قلب الفاسق** الغريق في بحر العناء: قال تعالى: (لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [5].

– **قلب الغافل** الراغب في الدنيا دار الفناء: قال تعالى: (وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) [6].

– **قلب العابد** المنتظر ثواب حضرة الكبرياء: قال تعالى: (إِلاَّ مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [7].

– **قلب العارف** المنتظر اللقاء في دار البقاء: قال تعالى: (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ)[8].

---

1 – انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، 4/290-291.

2- [البقرة – الآية: 88]

3- [البقرة – الآية: 7]

4- [آل عمران – الآية: 7]

5- [آل عمران – الآية: 156]

6- [الكهف – الآية: 28]

7- [الشعراء – الآية: 89]

8- [النحل – الآية: 106]

قال الإمام الغزالي: "القلوب في الثَّبات على الخير والشر والتردُّد بينهما ثلاثة:

القلْب الأول: عُمِر بالتقوى، وزكّا بالرّياضة، وطهُر مِن خبائث الأخلاق.

القلب الثاني: القلْب المخذول، المشحون بالهَوى، المدنَّس بالأخلاق المذمومة والخبائث، المفتوح فيه أبوابُ الشياطين، المسدود عنه أبوابُ الملائكة.

القلب الثالث :قلْب تبْدو فيه خواطرُ الهوى، فتدعوه إلى الشرّ، فيلحقه خاطر الإيمان فيَدْعوه إلى الخير، فتنبعث النفْس بشهوتها إلى نُصرة خاطِر الشر، فتقوى الشهوة وتحسن التمتُّع والتنعُّم، فينبعث العقلُ إلى خاطر الخير، ويدفَع في وجه الشهوة ويُقبّح فِعلها، وينسبها إلى الجهْل، ويشبهها بالبهيمة والسَّبُع في تهجُّمها على الشرّ وقِلّة اكتراثها بالعواقِب، فتميل النفْس إلى نُصح العقل".[1]

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية[2]وتلميذه ابن القيم[3]–رحمهما الله أن القلوب ثلاثة:

قال شيخ الإسلام –رحمه الله: "جعل الله القلوب ثلاثة أقسام:

1. **قاسية،**
2. **وذات مرض،**
3. **ومؤمنة مخبتة؛**

وذلك لأنها إما أن تكون يابسة جامدة لا تلين للحق اعترافاً، وإذعاناً، أو لا تكون يابسة جامدة.

الأول: هو القاسي، وهو الجامد اليابس، بمنزلة الحجر لا ينطبع، ولا يكتب فيه الإيمان، ولا يرتسم فيه العلم؛ لأن ذلك يستدعي محلا لينا قابلاً.

والثاني: لا يخلو إما أن يكون الحق ثابتاً فيه لا يزول عنه لقوته مع لينه، أو يكون لينه مع ضعف وانحلال. فالثاني: هو الذي فيه مرض، والأول هو القوي اللين؛ وذلك أن القلب بمنزلة أعضاء الجسد

1– "إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، 3 /45، 46

2– هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النمري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد سنة 661هـ في حران ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة 728هـ ، فخرجت دمشق كلها في جنازته.. الأعلام للزركلي (1 / 144)

3– هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين:من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء.مولده في سنة 691هـ ووفاته ونة 751هـ في دمشق.انظر:الأعلام للزركلي (6 / 56).

كاليد مثلاً، فإما أن تكون جامدة يابسة لا تلتوي ولا تبطش، أو تبطش بعنف، فذلك مثل القلب القاسي، أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها، فذلك مثل الذي فيه مرض، أو تكون باطشة بقوة ولين، فهو مثل القلب العليم الرحيم، فبالرحمة خرج عن القسوة، وبالعلم خرج عن المرض، فإن المرض من الشكوك والشبهات، ولهذا وصف من عدا هؤلاء بالعلم والإيمان والإخبات[1].

ويرى ابن القيم –رحمه الله– بأن القلب على ثلاثة أقسام لكن أقسام القلب عند ابن القيم هي:

"**فالقلب الأول**: حي مخبت لين واع،

والثاني: يابس ميت،

والثالث: مريض، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى"[2].

قال: "قد جمع الله سبحانه بين هذه القلوب الثلاثة في قوله تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِيۤ أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ* لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ* وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [3]".

قال: فجعل الله سبحانه وتعالى ثلاثة: قلبين مفتونين، وقلبا ناجيا. فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض، والقلب القاسي. والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه، وهو المطمئن إليه الخاضع له المستسلم المنقاد.

---

1 – انظر : مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م (13/270-271) .

2 – إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية1 / 9

3– [الحج – الآيات:52-54]

قال: فالقلب الصحيح السليم ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق، تام الانقياد له. والقلب الميت القاسي، لا يقبله ولا ينقاد له. والقلب المريض، إن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسي، وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم[1].

وقال -رحمه الله في موضع آخر: "القلوب ثلاثة: قلب قاسٍ غليظ بمنزلة اليد اليابسة، وقلب مائع رقيق جداً. فالأول: لا ينفعل بمنزلة الحجر، والثاني: بمنزلة الماء، وكلاهما ناقص، وأصحُّ القلوب القلب الرقيق الصافي الصلب، فهو يرى الحق من الباطل بصفائه، ويقبله ويُؤْثِره برقّته ويحفظه، ويحارب عدوه بصلابته ... وأبغض القلوب إلى الله القلب القاسي، قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [2][3].

والصحيح أن أنواع القلوب وأقسامها- من خلال تتبع آيات القرآن الكريم- أربعة وما ذكر الفيروزآبادي من الزيادات فهي صفات أنواع الأربعة المذكوره في القرآن الكريم وأحوال القلب الواردة في القرآن الكريم، ويستدل عليه بحديث النبي، أيضا، فهي كالتالي:

1. القلب السليم
2. القلب المريض
3. القلب المطبوع عليه
4. القلب القاسي الميت

---

1 - انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم الجوزية 1/14-15.

2- [الزمر - الآية: 22]

3 - الروح - الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت (ص539) .

المبحث الأول:

القلب السليم

أولا: تعريفه، أسماؤه وصفاته

أولاً: تعريف القلب السليم:

وهو الصحيح السالم من العلة والسقم، وهو قلب مخبت لين واع مطمئن لا يخالطه شك، متصف بالصفات الحسنة، ويوصف به قلب المؤمن في أفضل حالاته، كوصف قلوب الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، وهو الذي وصفته السنة المطهرة بأنه (أجرد) أي: متجرد مما سوى الله تعالى قال تعالى: (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[1]، أي بقلب صافي ومتجرد مما سوى الله تعالى.

وقد عرف العلماء القلب السليم بعدة تعريفات، أذكر بعضاً منها:

الإمام ابن جرير الطبري[2]–رحمه الله–يقول: يقول تعالى ذكره: إذْ جاء إبراهيم ربه بقلب سليم من الشرك مخلص له التوحيد"[3].

وقال محمد بن سيرين[4]–رحمه الله: "القلب السليم: هو الذي يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور"[5].

---

1 – [الصافات – الآيتان: 83–84]

2– هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان سنة 224هـ ، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة 310هـ.. الأعلام للزركلي (6 / 69)

3 – جامع البيان في تأويل القرآن– تفسير الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م (69/23).

4– هو محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. من أشراف الكتّاب. مولده في سنة 33 هـ ووفاته سنة 110هـ في البصرة. نشأ بزازا، في أذنه صمم. وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. واستكتبه أنس بن مالك، بفارس. وكان أبوه مولى لأنس. ينسب له كتاب (تعبير الرؤيا – ط) ذكره ابن النديم، و (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) المطبوع، المنسوب إليه أيضا. الأعلام للزركلي (6 / 154)

5 – انظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة،الطبعة : الثانية ، 1384هـ – 1964 م (91/15) .

وقال ابن رجب[1]–رحمه الله: "القلب السليم: هو السالم من الآفات والمكروهات كلِّها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وما يحبه الله، وخشية الله، وخشية ما يُباعد منه"[2].

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله: "وهذا هو القلب السليم، وهو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة، والإرادات الفاسدة، وما يتبع ذلك"[3].

وقال ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير تحت قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[4]فيه ستة أقوال: أحدها: سليم من الشِّرك، والثاني: سليم من الشَّكّ، والثالث: سليم، أي صحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، والرابع: أن السَّليم في اللغة: اللَّديغ، فالمعنى: كاللَّديغ من خوف الله عزّ وجلّ، والخامس: سليم من آفات المال والبنين، والسادس:سليم من البدعة، مُطْمئنّ على السُّنَّة. [5]

وقال ابن القيم –رحمه الله في كتاب الروح: "هو السليمُ من الآفات التي تعتري القلوب المريضة، من مرض الشبهة التي توجب إتباع الظن، ومرضِ الشهوة التي توجب إتباع ما تهوى الأنفس، فالقلبُ السليمُ الذي سَلِمَ من هذا وهذا"[6].

وقد عرفه أيضاً ابن القيم –رحمه الله في إغاثة اللهفان فقال: "وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فسلم في محبة الله مع

1– هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ثم الدمشقيّ، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد سنة 736هـ ونشأ وتوفي سنة 795هـ في دمشق. من كتبه (شرح جامع الترمذي) و (جامع العلوم والحكم – ط) في الحديث، وهو المعروف بشرح الأربعين، و (فتح الباري، شرح صحيح البخاري – خ) لم يتمه، و (ذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى – ط) جزآن. الأعلام للزركلي (3 / 295)

2 – جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م (211/1) .

3 – انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (337/10).

4– [الشعراء: 89]

5– زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ (3 / 342):

6 – الروح لابن القيم (ص544).

تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه، والإنابة إليه والذل له، وإيثار مرضاته في كل حال، والتباعد من سخطه بكل طريق وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده. [1].

ويقول ابن القيم -رحمه الله في الجواب الكافي: والقلب السليم هو الذي سلم من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد، والإخلاص يعم[2].

ويقول الرازي[3]: قَلْبٍ سَلِيمٍ أَنْ يَكُونَ خَالِيًا عَنِ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالْمَيلِ إِلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا[4]وأيضا قال في تفسيره مبينا لأدنى المراتب للقلب السليم: وَأَقَلُّ مَرَاتِبِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ أَنْ يَكُونَ سَلِيمًا عَنِ الْكُفْرِ. [5]

قال ابن عطية[6] في بيان القلب السليم: معناه خالص من الشرك والمعاصي، وعلق الدنيا المتروكة وإن كانت مباحة كالمال والبنين، قال سفيان هو الذي يلقى ربه وليس في قلبه شيء غيره.[1] وقال : (سليم) من الشرك والشك وجميع النقائص التي تلحق قلوب بني آدم كالغل والحسد والكبر[2]

---

1 - انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (1/12-13).

2 - انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م (ص183).

3- هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر. ومولده سنة 544هـ في الري وإليها نسبته ووفي سنة 606هـ، ويقال له (ابن خطيب الريّ).انظر:الأعلام للزركلي (6 / 313):

4- (تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ (24 / 517)

5- (تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (13 / 39)

6- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولد في سنة 481هـ ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وتوفي بلورقة سنة 542هـ. له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - خ) في عشر مجلدات، و (برنامج - خ) في خزانة الرباط (المجموع 1301 ك) في ذكر مروياته وأسماء شيوخه. هو الأعلام للزركلي (3 / 282)

ووصف إبراهيم يوم القيامة بأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون أحدا، ولكن ينفع القلب السليم وهو الخالص من الشك والشرك. أما الذنوب فلا يسلم منها أحد، وهذا رأي أكثر المفسرين.

وخص القلب بالذكر لأنه الذي إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد فسدت الجوارح.

ومن المعلوم أن ذكر الله تعالى على الدوام من أهم حالات وأسباب ترويض القلوب على السلامة والخلوص من الأوصاف الذميمة، والاتصاف بالأوصاف الجميلة[3]

جاء في الحديث القدسي عن الله تعالى فيما رواه الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ[4].

قال ابن عاشور[5]**–رحمه الله:** و(سَلِيمٍ): صفة مشبهة مشتقة من السلامة وهي الخلاص من العلل والأدواء؛ لأنه لما ذكر القلب ظهر أن السلامة سلامته مما تصاب به القلوب من أدوائها، فلا جائز أن تعني الأدواء الجسدية؛ لأنهم ما كانوا يريدون بالقلب إلا مقرّ الإدراك والأخلاق؛ فتعين أن المراد: صاحب القلب مع نفسه بمثل طاعة الهوى والعجب والغرور، ومع الناس بمثل الكبر والحقد والحسد والرياء والاستخفاف.

1– تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ، (4 / 235)

2– تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4 / 478) وكذا عرفه الدكتور الزحيلي في تفسيره، أنظر: التفسير المنير؛ للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، 1418 هـ، (19 / 171)

3– التفسير المنير للزحيلي (19 / 175):

4– سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م. كتاب أبواب فضائل القرآن، حديث رقم:2926.

5– هو محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده سنة 1296هـ ووفاته سنة 1393هـ ودراسته بها(تونس). عين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا.انظر: الأعلام للزركلي (6 / 174)

قال: وقد جمع قوله: (بِقَلْبٍ سليمٍ) جوامع كمال النفس وهي مصدر محامد الأعمال. [1]

ثانياً: أسماء القلب السليم في القرآن:

والقرآن سمى القلب السليم بالمسميات عديدة منها:

"قلب منيب"، حيث قال تعالى في القرآن الكريم: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ}[2] أي مقبلاً إلى طاعة الله مخلصاً حفيظا من الشرك والمعاصي. [3]

قال أبو بكر الورّاق[4]: علامة المنيب: أن يكون عارفا لحرمته، موالياً له، متواضعا لجلاله تاركا لهوى نفسه. [5]

والإمام فخر الدين الرازي يقرّ بأن القلب السليم والمنيب سواء ويقول تحت هذه الآية: الْقَلْبُ الْمُنِيبُ كَالْقَلْبِ السَّلِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ[6]أَيْ سَلِيمٍ مِنَ الشِّرْكِ، وَمَنْ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ يَتْرُكُ غَيْرَ اللَّهِ وَيَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ فَكَانَ مُنِيبًا، وَمَنْ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ بريء من الشرك فكان

---

1 – التحرير والتنوير – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ (ج12 / ص 130).

2- [ق: 33]

3- (انظر: تفسير السمرقندي = بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ) (3 / 337) ؛ وتفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان (5 / 354)

4- أبو بكر محمد بن عمر الورّاق الترمذي ويلقب بـ "الحكيم"، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري أصله من ترمذ وسكن بلخ، وصحب أحمد بن خضرويه ومحمد بن سعد بن إبراهيم الزاهد ومحمد بن عمر بن خشنام البلخي. توفي سنة 240 هـ. (انظر: طبقات الأولياء ، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، بتحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، الناشر: مكتبة الخانجي، بالقاهرة، الطبعة: الثانية، 1415 هـ - 1994 م، (1 / 374)

5- (تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م (9 / 105)

6- [الصَّافَّاتِ: 84]

سليما.[1]وسماه الله بقلب مطمئن الذي اطمئن بالإيمان وذاق مذاق الإيمان حيث قال في قوله تعالى: {وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}[2] وذكر ابن كثير تحت هذه الآيه قصة عمار بن ياسر الذي كان من أوائل المؤمنين وقد سلم الله قلبه من الشرك وملئه بالإيمان لكن مع ذلك هو أُكره من جانب الكفار على أن يقول ما أرادوا من الكفريات، فجاء عمار بن ياسر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وشكى ذلك وروي الْبَيْهَقِيُّ هذه القصة في السنن الكبرى.

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَخَذَ الْمُشْرِكُونَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، ثُمَّ تَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا وَرَاءَكَ؟ " قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللهِ مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، قَالَ: "كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ " قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، قَالَ: " إِنْ عَادُوا فَعُدْ " أَنَّهُ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، وَأَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُرِكْتُ حَتَّى سَبَبتك وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ! قَالَ: "كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ " قَالَ: مُطَمْئِنًا بِالْإِيمَانِ. فَقَالَ: "إِنْ عَادُوا فَعُدْ". وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ: {إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}[3].[4]

المطمئن هو: سليم من البدعة، مُطْمئنّ على السُّنَّة.[5]

ويقول ابن كثير[6] في تفسير قوله تعالى: (وقلبه مطمئن) اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُوَالِيَ المكرَه عَلَى الْكُفْرِ، إِبْقَاءً لِمُهْجَتِهِ، وَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَسْتَقْتِلَ، كَمَا كَانَ بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْبَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ

1- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (28 / 147)

2- [النحل: 106]

3- [النحل: 106]

4- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م (8 / 362)، كتاب المرتد، بَابُ الْمُكْرَهِ عَلَى الرِّدَّةِ قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} [النحل: 106] الْآيَةَ، حديث رقم 16896

5- زاد المسير في علم التفسير لابن القيم (3 / 342)

6- هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة 701، ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق سنة 774هـ. تناقل الناس تصانيفه في حياته. من كتبه (البداية والنهاية – ط) 14 مجلدا في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير انتهى فيه إلى حوداث سنة 767، و(تفسير القرآن الكريم – ط) عشرة أجزاء و (الاجتهاد في طلب الجهاد – خ) وغير ذلك . الأعلام للزركلي (1 / 320)

وَهُمْ يَفْعَلُونَ بِهِ الْأَفَاعِيلَ، حَتَّى أَنَّهُمْ لَيَضَعُونَ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ عَلَى صَدْرِهِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَيَأْمُرُونَهُ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَيَأْبَى عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَد، أَحَد. وَيَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ كَلِمَةً هِيَ أَغْيَظُ لَكُمْ مِنْهَا لَقُلْتُهَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. وَكَذَلِكَ حَبِيبُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ لَمَّا قَالَ لَهُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْمَعُ. فَلَمْ يَزَلْ يُقَطِّعُهُ إِرْبًا إِرْبًا وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى ذَلِكَ....وَالْأَفْضَلُ وَالْأَوْلَى أَنْ يَثْبُتَ الْمُسْلِمُ عَلَى دِينِهِ، وَلَوْ أَفْضَى إِلَى قَتْلِهِ[1]

على كل حال من حالين المذكورين لعمار بن ياسر ولبلال بن رباح على المسلم يتضح يكون قلبه سليماً من قبول الشرك ومطمئنا بالإيمان بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم ولو يقرّ بآلهتهم بخير في حال إكراهه.

عرفنا أن القلب السليم هو ما سلم الشرك والظلم والمعاصي والبدع. ويكون دائما تحت طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم- ولا يخرج من هذه الدائرة إلا في حالة الإكراه والشدة، وكذلك يكون رجال يموتون ويقبلون الشدة والظلم على أنفسهم لكن لا يأتون بلفظ الذي لا يليق بمرتبة إيمانهم وأحوالهم كما كان أمر بلال بن رباح. ومن أقوال المذكورة في بيان تعريف القلب السليم يتضح أن القلب السليم الذي يظلّ على حاله وعلى صلاحه الذي خلقه الله عليه لا يصيبه عطب في ذاته، فيؤدي مهمته كما ينبغي. وإن الله تبارك وتعالى خلق الأشياء على الفطرة كما خلق الإنسان على فطرة الإسلام وعندما يعارضها الأشياء أخرى فيهود وينصر ويستتر فطرته وأصله وحقيقته.

وأيضا سمى القلب السليم في القرآن الكريم؛ بالأسماء التالية:

المُخْبِتْ : الخاضع المطمئن الساكن. {فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ}[2]

الوجِلْ : وهو الذي يخاف الله عز وجل ألاَّ يقبل منه العمل وألاَّ يُنجَّى من عذاب ربّه. {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ }[3]

التَّقِيْ : وهو الذي يعظِّم شعائر الله. {ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ} [4]

1- تفسير ابن كثير ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م (4 / 606)

2- الحج: ٥٤

3- المومنون: ٦٠

4- الحج: ٣٢

المُهْدِي : الرَّاضي بقضاء الله والتَّسليم بأمره. {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}[1]

المُطْمَئِنْ : يسكن بتوحيد الله وذكره {وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ}[2]

الحَيّ : قَلْب يَعْقِل مَا قَدْ سَمِعَ مِنْ الْأَحَادِيث الَّتِي ضَرَبَ الله بِهَا مَنْ عَصَاهُ مِنْ الْأُمَم. {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ} [3]

ثالثا: أهم صفات القلب السليم:

وبين الله تبارك وتعالى في كتابه عديدا من صفات القلب السليم الذي هو أعلى أنواع وأحوال القلوب وهو قلب المؤمن الذي كمل إيمانه وظهر أثره على ظاهره وباطنه وهو بعيد عن الكفر والشرك وقريب إلى الإيمان والصالحات، قائمة بالأوامر والنواهي.

فمن أهم أوصاف القلب السليم الواردة في القرآن الكريم هي حسب التالي:

1. الإخلاص لله:

مصدر أخلص يخلص وهو مأخوذ من مادّة (خ ل ص) الّتي تدلّ على تنقية الشّيء وتهذيبه.[4]

وفي لسان العرب: الإخلاص: ترك الرياء. وقد أخلصت لله الدين.[5]

وفي الاصطلاح يأتي بمعنى الصفاء، كما في قوله تعالى: « وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ»[6]. أي صافيا. والخالص كالصافي إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي: قد يقال لما لا شوب فيه. ويقال: خلصته فخلص[7]، ولذلك قال الشاعر: وضاقت خطة فخلصت منها ــ خلاص الخمر من نسج الفدام ،يقول ربما ضاق أمر عليّ فكان خلاصي منه خلاص الخمر من النسج الذي تفدم به أفواه الأباريق لتصفية الخمر[8].

1- التغابن: ١١

2- الرعد: ٢٨

3- ق: ٣٧

4- مفردات الراغب (154)

5- لسان العرب[مادة: خلص]

6- (النحل، 16 / 66)

7- الاصفهاني، المفردات، كتاب الخاء.

[8] شرح ديوان المتنبي ، للواحدي ، (224/2).

ويأتي في معنى التبري عن كل ما دون الله: كما في قوله تعالى: « وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ»[1].أي تبرؤوا مما كانوا يعبدون ودعوه وحده موحدين له، لا يدعون لخلاصهم سواه.[2]

حاصل هذه التعريفات للإخلاص: ألّا تطلب لعملك شاهدا غير الله تعالى وتخليص القلب عن شائبة الشّوب المكدّر لصفائه- الفطريّ- وتحقيقه أنّ كلّ شيء يتصوّر أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يسمّى خالصا، قال تعالى: مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً [3]. فإنّما خلوص اللّبن أن لا يكون فيه شوب من الفرث والدّم، ومن كلّ ما يمكن أن يمتزج به .[4]إخلاص المسلمين أنّهم قد تبرّءوا ممّا يدّعي اليهود من التشبيه، والنّصارى من التّثليث. [5]

القلب السليم يكون مخلصا لله تعالى وخاليا من الشرك والرياء، والإخلاص من أعمال القلوب الذي يظهر بأعمال الجوارح بعدئذ. القرآن الكريم اهتم بأمر الإخلاص لله ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- والإخلاص في الدين حيث قال تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[6] وقوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}[7] وقوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}[8] وقوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}[9]

والنبي -صلى الله عليه وسلم- أشار إلى القلب المؤمن بأنه لا يكون خاليا من الإخلاص في حديث رواه عَبْد اللَّهِ ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "... ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ رَجُلٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ يُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ"[10]

1- (لقمان، 31 / 32)

2- القرطبي، 8 / 324.

3-(النحل/ 66)

4-التعريفات للجرجاني (13- 14)

5- التعريفات للجرجاني (13) ، والإحياء (4/ 400) وما بعدها.

6- [البينة: 5]

7- [الزمر: 3]

8- [النساء: 146]

9- [الكهف: 110]

10- المعجم، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ)، ت: إرشاد الحق الأثري، ن: إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد،ط: الأول، 1407، عدد الأجزاء: 1 (1 / 189):

و أيضا النبي -صلى الله عليه وسلم- بين أن العمل الخالص سبب من أسباب فتح أبواب الحكمة من القلب على اللسان حيث جاء في الحديث: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَخْلَصَ للهِ تَعَالَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ عَلَى لِسَانِهِ» [1]

والإخلاص هو طريق وحيد الذي يستطيع العبد أن يسلط به على الشيطان بل العبد المخلص الذي يكون صاحب قلب سليم يفر منه الشيطان ولا يغويه من طريق الهداية كما جاء في القرآن الكريم: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [الحجر: 39، 40] وإذا أراد الشيطان أن يغويهم عن الطريق الهداية فالله سبحانه وتعالى يحفظه ويسلمه بحفاظته ولا يتركه للشيطان أن يغويه حيث قال : {قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}[2]

والعبد المخلص صاحب القلب السليم لا يعبد ربه للنجاة والفلاح في الدارين ولحصول الجنة وخوف النار بل يعبد ربه للقائه ولحبه محض. وهذا العالم المعاصر الشعراوي[3] يؤكد هذا الموقف وقال: وأهل المعرفة يرؤنَ فرقاً بين مَنْ يرجو الثواب ويرجو رحمة الله، ومن يرجو لقاء الله لذات اللقاء، لا خوفاً من نار، ولا طمعاً في جنة. [4]

وأمامنا أمثلة عديدة من عباد الله المخلصين ومنهم الرابعة العدوية البصرية[5] التي تقول:

كُلُّهم يَعْبُدُونَ مِنْ خَوْفِ نَارٍ ... ويرؤنَ النجاةَ حَظًّا جَزِيلاً

1- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، (5 / 189)

2- [الحجر: 41، 42]

3- هو محمد متولي الشعراوي، العالم الفقيه المفسّر، من أبرز علماء عصره، وأحد دعائم الفكر الإسلامي الحديث بمصر، ولد في مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر سنة 1329هـ. حصل على الشهادة العالمية من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام 1941م، وتدرج في سلك التدريس الأزهري بمختلف المعاهد الدينية حتى أعير للمملكة العربية السعودية (1950م) مدرسًا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، وعين وزيرًا للأوقاف وشؤون الأزهر (1976 . 1978م) في عهد الرئيس أنور السادات. وتوفي سنة 1419هـ. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية

4- (تفسير الشعراوي (18 / 11067)

5- هي رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية: صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر: من كلامها: (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس سنة 135، قال ابن خلكان: (وقبرها يزار، وهو بظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل يسمى الطور) وقال: (وفاتها سنة 135 كما في شذور العقود لابن الجوزي، وقال غيره سنة 185). انظر:وفيات الأعيان 1/ 182 والأعلام للزركلي (3 / 10)

أَوْ بِأَنْ يَسْكُنُوا الجِنانَ فيحظَوْا ... بقُصُورٍ ويَشْرَبُوا سَلْسبِيلا

لَيْسَ لي بالجَنَانِ والنَّارِ حَظٌّ ... أنَا لا أبتغي بحبي بَديلاَ

وأيضا قالت في إخلاصها لله تعالى في العبادة: اللهم إنْ كنتَ تعلم أني أحبك طمعاً في جنتك فاحرمني منها، وإنْ كنتَ تعلم أنِّي أعبدك خوفاً من نارك فاحرقني بها.[1]

والشعراوي يؤكد ويؤيد موقف رابعة العدوية ويشير إلى أن المؤمن لا يليقه حبّ من سوى الله تعالى وقال: ويقول تعالى في سورة الكهف: {فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً}[2] ولو كانت الجنة لأن لقاء الله أعظم، وهو الذي يُرْجى لذاته.

ويتضح من ما مر من الآيات والأحاديث أن القلب السليم لا يخلو من صفة الإخلاص ومن يخلص لله تعالى فلا يضلهم الشيطان بل يفر منهم كما كان يفر من ظل عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– والله سبحانه وتعالى وإذا أراد الشيطان أن يضله ويغويه عن الهدي فالله سبحانه وتعالى يحفظ عبده من حملات الشيطان.

وعندما يخلص العبد لله فيحبه ويطيعه ويطيع الرسول –صلى الله عليه وسلم– كما جاء في القرآن الكريم: {قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[3]

وأيضا يحب من يحبه الله ويبغض أعداء الله أي يكون حبه حب في الله وبغضه بغضه في الله كما كان أمر القلوب السليمة للصحابة –رضي الله عنهم– حيث جاء في القرآن الكريم: {وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا}[4] وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا }[5] يدل على أن المؤمنين يودون فيما بينهم وفي الحقيقة هذه المحبة في قلوب السليمة لا يأتي إلا من جانب الله.

حيث جاء في الحديث عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله إذا أحبّ عبدا دعا جبريل فقال: إنّي أحبّ فلانا فأحبّه. قال: فيحبّه جبريل. ثمّ ينادي في السّماء فيقول: إنّ الله يحبّ فلانا فأحبّوه. فيحبّه أهل السّماء. قال: ثمّ يوضع له القبول في الأرض. وإذا

1- تفسير الشعراوي – الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم (18 / 11067)

2- [الكهف: 110]

3- [آل عمران: 31]

4- [الفتح: 29]

5- [مريم: 96]

أبغض عبدا دعا جبريل فيقول: إنّي أبغض فلانا فأبغضه. قال: فيبغضه جبريل. ثمّ ينادي في أهل السّماء: إنّ الله يبغض فلانا فأبغضوه. قال: فيبغضونه. ثمّ توضع له البغضاء في الأرض») [1]

ولا يعد محبة في الله لشخص إلا من محبة الله لذاته كما بين ابن تيمية بقوله: إنك إذا أحببت الشخص لله، كان الله هو المحبوب لذاته، فكلما تصورته في قلبك، تصورت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبك لله، كما إذا ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله والمرسلين وأصحابهم الصالحين، وتصورتهم في قلبك، فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم، وبهم، إذا كنت تحبهم لله. فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله، والمحب لله إذا أحب شخصا لله فإن الله هو محبوبه. فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى، وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله) [2]

2. خشوع لله:

معنى الخشوع والخضوع:

مصدر خشع يخشع وهو مأخوذ من مادّة (خ ش ع) الّتي تدلّ كما يقول ابن فارس على معنى واحد هو التّطامن، يقال خشع فلان إذا تطامن وطأطأ رأسه وهو قريب المعنى من الخضوع، إلّا أنّ الخضوع في البدن وهو الإقرار بالاستخذاء، والخشوع في البدن والصّوت والبصر، قال تعالى: خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ (القلم/ 43) ، قال ابن دريد: الخاشع: المستكين والرّاكع، وقال الرّاغب: الخشوع الضّراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضّراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح.

وذكرت كتب اللّغة أنّ الخشوع هو الخضوع، يقال خشع يخشع خشوعا، واختشع وتخشّع: رمى ببصره نحو الأرض، وغضّه وخفض صوته، وقوم خشّع: متخشّعون، وخشع بصره: انكسر، ولا يقال اختشع بصره، قال ذو الرّمّة:

تجلّى السّرى عن كلّ خرق صَفِيحةُ سَيْفٍ، طَرْفُه غيرُ خاشِعِ [3]

الخشوع: يقال باعتبار الجوارح، ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح)[1]

1- صحيح مسلم- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ، حديث رقم: 2637

2- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (10/ 608)

3- لسان العرب (2/ 1142)

وفي الاصطلاح: قيام القلب بين يدي الرّبّ بالخضوع والذّلّ وقيل: هو الانقياد للحقّ. وقال الجنيد[2]: الخشوع تذلّل القلوب لعلّام الغيوب. قال ابن القيّم- رحمه الله-: والحقّ أنّ الخشوع معنى يلتئم من التّعظيم والمحبّة والذّلّ والانكسار[3]

الخشوع والخضوع من صفات القلب السليم وأيضا سميت القلب السليم لكثرة الإنابة من خوفه وخشيته إلى الله بقلب منيب حيث قال تعالى: {هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} [4]وقال تعالى في بيان القلب السليم المؤمن الذي يخشع: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} [5]

وعندما يذكر أمام صاحب القلب السليم ذكر الله -سبحانه وتعالى- فخضع قلبه وتخشع جوارحه وأيضا من علامات المحب انزعاجه وعند ذكر محبوبه وهذا محبوبه رب العالمين الذي أعطاه القلب السليم. وذكر ابن القيم إجماع العلماء العارفين على أَنَّ الْخُشُوعَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَثَمَرَتُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَهِيَ تُظْهِرُهُ.

وخشية القلب عده العلماء من الموازين التي يوزن بها حقيقه الإيمان كما سُئل الحسن البصري عن موقعه من الإيمان ونوع قلبه من السلامة والمرض فقال: يا أبا سعيد أ مؤمن أنت؟ فقال له: الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب فأنا به مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله تبارك وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا}[6] فوالله ما أدري أنا منهم أم لا. [1]

1- الفروق اللغوية، الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر (ص 216).

2- هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته سنة 297هـ ببغداد . أصل أبيه من نهاوند،.انظر: الأعلام للزركلي (2 / 141)

3- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م (1/ 516-517)

4- [ق: 32، 33]

5- [الحديد: 16]

6- [الأنفال: 2 - 4]

إذا تليت على القلب السليم آيات الرحمن يخر مسجدا وباكيا، لأنه حي ويسمع بالقلب قبل سماعه وأذنه وينظر بالقلب أن المتلو من كلام محبوبه ولا ينظر إلى حال التالي.

وبين ابن القيم –رحمه الله– علاقة بين القلب والأذن وظهور الخشية من القلب بقوله: الوعي تُوصَف بِهِ الاذن كَمَا يُوصف بِهِ الْقلب يُقَال قلب واع وَأذن وَاعِيَة لما بَين الاذن وَالْقلب من الارتباط فالعلم يدْخل من الاذن الى الْقلب فَهِيَ بَابه وَالرَّسُول الْموصل اليه الْعلم كَمَا ان اللِّسَان رَسُوله الْمُؤَدى عَنهُ وَمن عرف ارتباط الْجَوَارِح بِالْقَلْبِ علم ان الاذن احقها ان تُوصَف بالوعي وانها إذا وعت وعي الْقلب. (2)

والنبي –صلى الله عليه وسلم– كان يدعو الله ويعوذ بالله من القلب الذي لا يخشع كما ورد في الحديث عن عن زيد بن أرقم، قال: لا أقول لكم إلّا كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول كان يقول: «اللهمّ إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها. أنت وليها ومولاها. اللهمّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها». (3)

والمؤمن عندما يخشع ويخضع فيظهر ويتفرع عليه وصف آخر ألا وهي الخوف من عذاب الله والرجاء في رحمته، والقلب السليم لا يكون إلا بين الإفراط والتفريط.

1- تفسير القرطبي (7 / 367)

2- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت (1 / 125)

3- صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ، حديث رقم:2722

المبحث الثاني: القلب المريض

أولا: التعريف بالقلب المريض:

وهو السقيم، وهو قلب له حياة وبه علة، فله مادتان، تمده هذه مرة، وهذه أخري، وهو لما غلب عليه منهما، وهو القلب الذي وصفته السنة بأنه (مصفح). [1]

المرض هو إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها وقال ابن دريد المرض السقم ونقيض الصحة يكون للانسان والبعير وهو اسم للجنس ، قال سيبويه المرض من المصادر المجموعة كالشغل والعقل قالوا أمراض واشغال وعقول[2]. ومرض فلان كفرح مرضا بالتحريك ومرضا بالسكون ومريض ومارض والانثى مريضة ،ويقال جئت فلان مرضه ، أي وجدته مريضا والممراض الرجل المسقام والمتمارض أن يري من نفسه المرض وليس به.[3]

وأصل المرض النقصان يقال مريض أي ناقص القوة ، وقلب مريض أي ناقص الدين. ويقال المرض والسقم في البدن والدين جميعا كما يقال الصحة في البدن والدين جميعا والمرض في القلب يصلح لكل ما خرج به الانسان عن الصحة وهو فتور عن الحق ، وفي الأبدان فتور الاعضاء [4]

وفسر قوله في قلوبهم مرض أي شك ونفاق ، وقال أبو عبيدة : أي شك ، ويقال قلب مريض من العداوة وهو النفاق، عن أبي عمرو بن العلاء في قلوبهم مرض أي الفتور ، والمرض الظلمة عن ابن الأعرابي[5].

واختلف المفسرون في تحديد دلالة المرض وإن ردوه الى الأصل فهو شك ونفاق ويقال أصل المرض الفتور فهو في القلب فتور عن الحق وفي الأبدان فتور الاعضاء وفي العيون فتور النظر[6] .وقيل هو الكفر أو الميل الى الظلم[1]أو هو ضعف وقلة ثبات في الدين [2]أو هو الشبهة) [3]

1- انظر: مسند أحمد، (17 / 208) حديث رقم: 11129

2- الزبيدي ، تاج العروس (مرض) ، الفيروزآبادي ، القاموس (مرض).

3- الاصفهاني ، المفردات (مرض).

4- ابن منظور ، اللسان (مرض).

5- الزبيدي ، تاج العروس (مرض).

6- الهائم المصري ، التبيان في تفسير غريب : ١ / ٥٧ ، البيضاوي ، تفسيره : ٤ / ١٣٥.

والبيضاوي في تفسير المرض ذكر معاني المرض عديدة ففي كل موضع يعبر عنه بشكل يتناسب والسياق العام للآية. مما تقدم نفهم أن المرض يضم من المعاني المختلفة مما يكسبه سعة في التعبير والقرطبي يصفه بقوله: والمرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم وذلك أما يكون شكا ونفاقا وأما جحدا وتكذيبا والمعنى في قلوبهم مرض لخلوها عن العصمة والتوفيق والرعاية والتأييد .وعن ابن فارس المرض كل ماخرج به الانسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في أمر.[4] والقراء مجمعون على فتح الراء إلا ما روى الاصمعي عن أبي عمرو أنه سكن الراء في (فزادهم الله مرضا) قيل هو دعاء عليهم ويكون الكلام فزادهم الله شكا ونفاقا جزاء كفرهم وضعفا عن الانتصار[5]وفيما يبدو أن المنافقين غير الذين في قلوبهم مرض إذ عطف الثاني على الاول ، فقدم المنافقين وهذا يعني أنهم أقل درجة في الجحود والانكار. هذا في الانفال اما في الحج فقد قدم ذكر الذين في قلوبهم مرض ثم عطف القاسية قلوبهم ، فقدم المرض على القاسية قلوبهم. ويبدو أن ذلك تضييق للقلوب فلكل نوع درجته وفئته وصيغته التي تعبر عنه.

فقوله (الذين في قلوبهم مرض) كتعبير يختلف عن قوله (القاسية قلوبهم) فلم يقل الذين في قلوبهم قسوة مثلا. فالتعبير الأول على قابلية التحول أقوى ، بمعنى أن صيغة فاعلة يمكن لها أن تتغير فهذه القلوب القاسية قد يكون لها أن تلين لو أصابها الايمان مثلا.

أما التعبير (الذين في قلوبهم مرض) فهو اخبار عن هذه القلوب التي استولى عليها مرض الشرك والكفر فهي واقعة في ذلك لا محال فقد وصف بهذه الصفة الثابتة عليه. فالقلب هنا في درجات متأخرة ولا سبيل الى نجاته. [6]

1- البيضاوي ، تفسيره : ٤ / ١٩٦.

2- ابن فارس ، المقاييس (مرض).

3- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة) (197/1).

4- القرطبي ، تفسيره : ١ / ١٩٧ ، الطبري ، تفسيره : ١ / ١٢١.

5- القرطبي ، تفسيره : ١ / ١٩٧.

6- انظر: التدرج الدلالي لوصف القلب في القرآن الكريم، د .زينب كامل كريم، مجلة كلية تربية للبنات، المجلد: (21)، 1، 2010م، ص9

ثانيا: أسماء القلب المريض في القرآن:

وردت في القرآن الكريم أسماء عديدة للقلب المريض حسب أمراضه التي تصيبه في أوقات مختلفة وتفصيلها حسب التالي:

المَرِيْضْ : وهو الذي أصابه مرض مثل الشك أو النفاق وفيه فجور ومرض في الشهوة الحرام. {فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ }[1]

اللَّاهِي : غافل عن القرآن الكريم ، مشغول بأباطيل الدنيا وشهواتها ، لا يعقل ما فيه. {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ}[2]

الآثِمْ : وهو الذي يكتم شهادة الحق. {وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ}[3]

الغَلِيْظْ : وهو الذي نُزعت منه الرأفة والرَّحمة {وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}[4]

المُرتاب: شاكٍ متحيّر. {وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ} ﴿التوبة:45﴾

تصيب القلب هذه الأمراض عندما يعتريه الضعف أو يرتكب المعاصي، أو يقصر في أداء الفرائض، ففي هذه يصيب قلبه بعض المرض، فإن تاب ونزع عن ذنبه سلم قلبه من المرض الذي أصابه، وإن يستمر في ذنوبه فإنه يضل ويصل إلى مرحلة يطبع فيها على قلبه وينتهي هذا إلى حاله كالقلب القاسي الميت والعياذ بالله وهذا كله يكون بالتدرج وحسب المعاصي كما جاء في الحديث.

فقد روى أحمد والترمذي وابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[5][6].

1- ﴿الأحزاب: ٣٢﴾

2- ﴿الأنبياء: ٣﴾

3- ﴿البقرة: ٢٨٣﴾

4- ﴿ آل عمران: ١٥٩﴾

5- [المطففين - الآية: 14]

6 - سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، حديث رقم:4244، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى

قال الطبري–رحمه الله: "فأخبر –صلى الله عليه وسلم– أنّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الخَتْم من قبل الله عز وجلّ والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مَسْلك، ولا للكفر منها مَخْلَص، فذلك هو الطَّبع. والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله:(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ)، نظيرُ الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف، التي لا يوصَل إلى ما فيها إلا بفضِّ ذلك عنها ثم حلّها. فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وَصَف الله أنه ختم على قلوبهم، إلا بعد فضِّه خاتَمَه وحلِّه رباطَه عنها"[1].

ويقول سيد قطب الشهيد[2] عن زيادة المرض على المرض في تفسيره في ظلال القرآن: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» ... وهذا ما يحيد بهم عن الطريق الواضح المستقيم. ويجعلهم يستحقون من الله أن يزيدهم مما هم فيه: «فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً» ..فالمرض ينشئ المرض، والانحراف يبدأ يسيراً، ثم تنفرج الزاوية في كل خطوة وتزداد. سنة لا تتخلف. [3]

وهذه الأمراض أشد عند المنافقين وتبلغ الذروة عند الكافرين، قال تعالى عن المنافقين: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ* وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) [4]

وقال تعالى عن مشركي أهل الكتاب: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[5]، فمرض قلوبهم تمثل في زيغهم وعدولهم عن إتباع الحق الذي جاءهم به نبيهم–صلى الله عليه وسلم–.

عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990، (2 / 562). وقال الحاكم:"هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"

1 – تفسير الطبري – (ج 1 / ص 261).

2 – هو سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط سنة 1324هـ. ، فأعدم سنة 1378هـ. وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن).انظر: الأعلام للزركلي (3 / 148):

3 – في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى:1966م، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ، (1 / 43)

4– [محمد – الآيتان:29–30].

5– [الصف – الآية: 5]

قال ابن كثير –رحمه الله: "وقوله: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أي: فلما عدلوا عن إتباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، كما قال تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [1]"[2].

وأخطر أمراض القلوب النفاق والكفر؛ فالمنافقون والكفار اتصفوا بشر الصفات من: الشك والارتياب والمكر والخديعة وخُلْف الوعد والاستكبار والاستهزاء وغير ذلك، وقد بينت الآيات القرآنية هذه الأمراض ونسبتها لهاتين الفئتين فقط، قال تعالى: (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّآ آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىَ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ) [3]، وقال تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) [4]، وقال تعالى: (أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوَاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [5]، قال تعالى: (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) [6].

والمرض الذي كان في قلب الكفار والمنافقين عدم التصديق بمحمد–صلى الله عليه وسلم– وبما جاء به من عند الله حيث بينه الإمام أبو جعفر الطبري–رحمه الله في تفسيره: وأصل المرَض: السَّقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان. فأخبر الله جلّ ثناؤه أن في قلوب المنافقين مَرَضًا، ومعنى قول الله جل ثناؤه: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) [7]يعني: في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين، والتصديق بمحمد –صلى الله عليه وسلم–، وبما جاء به من عند الله – مَرَض وسُقْم. فاجتزأ بدلالة الخبَر عن قلوبهم على معناه، عن تصريح الخبر عن اعتقادهم. والمرضُ الذي ذكر الله جل ثناؤه أنّه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه: هو شكُّهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله، وتَحيُّرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له

1- [الأنعام - الآية:110]

2 - تفسير ابن كثير - (ج 8 / ص 109).

3- [التوبة - الآيات:75-77]

4- [التوبة - الآية: 45]

5- [النور - الآية: 50]

6- [النحل - الآية: 22]

7- [البقرة - الآية: 10]

منكرون إنكارَ إشراك، ولكنهم، كما وصفهم الله عز وجل: (مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَىَ هَـؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَـؤُلاَءِ) [1][2].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله: "وكذلك مرض القلب هو نوع فسادٍ يحصل له، يفسد به تصوره، وإرادته. فتصوره: بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته: بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار، فلهذا يفسر المرض تارةً بالشك والريب، كما فسر مجاهد، وقتادة قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) [3]، أي شك[4]. وتارة يُفسر بشهوة الزنا كما فُسِّر به قوله تعالى: (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)[5][6]. إلى أن قال رحمه الله: والمرض دون الموت، فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل، فله موت ومرض، وحياة وشفاء، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه، فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه[7].

قال الطبري: "وقوله: (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) يقول: فيطمع الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه؛ إما شاك في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله، وإما متهاون بإتيان الفواحش"[8].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي[9] –رحمه الله: "وقوله: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) المراد بالمرض هنا: مرض الشك، والشبهات، والنفاق؛ وذلك أن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله:

1- [النساء –آية: 143]

2 - انظر: تفسير الطبري (ج 1/ ص278- 279).

3- [البقرة - الآية: 10]

4 - تفسير الطبري - (ج 1/ 279).

5- [الأحزاب –الآية: 32]

6 - تفسير الطبري - (ج 20 / ص 258).

7 - انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية- (10/93-95).

8 - تفسير الطبري - (ج 20 / ص 258).

9 - السّعْدي، عبد الرحمن (1307 - 1376هـ). هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. عالم ومفسّر سعودي ولد في القصيم بالمملكة العربية السعودية سنة 1307هـ. أبرزها تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، واختصر هذا التفسير بكتاب سماه تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، وكتبه قيّمة محققة تخلو من الدخيل والغرائب.نقلا عن الموسوعة العربية العالمية

مرض الشبهات الباطلة ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشبهات. والزنا، ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها، من مرض الشهوات، كما قال تعالى: (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)، وهو شهوة الزنا. والمعافى من عوفي من هذين المرضين"[1].

وقد بينت الآيات القرآنية هذه الأمراض ونسبتها لهاتين الفئتين فقط، ولم يرد وصف المؤمنين في سياق الحديث عن صفات القلوب بواحد من هذه الأمراض البتة، مما يدل على أن المؤمن لا ينبغي له أن يتصف بهذه الصفات، ولا يليق به أن يتلبس بهذه الأمراض، فإن نسي فوقع في ذنب أو مسه طائف من الشيطان تذكر ونزع ورجع عن معصيته وتاب إلى الله تعالى، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) [2]. قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوَاْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىَ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [3].

هذا هو الفرق بين المؤمن الحق وبين المنافق والكافر؛ وذلك أنه لا يصر على التمادي في الذنب. أن تقع في الذنب هذه مرحلة لا بد منها، كما روى الترمذي وابن ماجة عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) [4]، أما التمادي في الذنب والإصرار عليه فهي المرحلة الخطيرة التي تؤدي إلى الهلاك والبوار؛ لأنها تقود إلى مرحلة الختم والطبع على القلب ومن ثم يكون القلب قاسيا ميتا والعياذ بالله. وقد تقدم قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ؛ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[5])[6].

---

1 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م، (ص24، 25).

2- [الأعراف - الآية: 201]

3- [آل عمران - الآية:135]

4 - رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، برقم(2423)، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب التوبة، برقم: 4251.

5- [المطففين - الآية: 14]

6 - رواه ابن ماجة كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، (ح4234)، ورواه الحاكم (2 : 517). وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه". وانظر: تفسير الطبري - (ج 1 / ص 260).

ثالثا: أهم صفات القلب المريض:

1. الشك والجهل:

تعريف الشك: قال الجرجاني[1]:الشّكّ: هو التّردّد بين النّقيضين لا ترجيح لاحدهما على الآخر عند الشّاكّ. وقيل: الشّكّ ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشّيئين لا يميل القلب إلى أحدهما، فإذا ترجّح أحدهما، ولم يطرح الآخر فهو ظنّ، فإذا طرحه، فهو غالب الظّنّ، وهو بمنزلة اليقين».[2]

تعريف الجهل: قال الجرجانيّ: الجهل: هو اعتقاد الشّيء على خلاف ما هو عليه، واعترضوا عليه بأنّ الجهل قد يكون بالمعدوم، وهو ليس بشيء، والجواب عنه أنّه شيء في الذّهن[3].

قال الجرجانيّ: الجهل على ضربين: الأوّل: الجهل البسيط: هو عدم العلم عمّا من شأنه أن يكون معلوما. الآخر: الجهل المركّب: هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع[4].

ومن أهم أوصاف القلب المريض ''الشك والجهل'' ويزداد بها مرض القلوب حيثما زادا وينطلق القلب المريض إلى درجة أعلى في الضلال ويصبح القلوب مختوم عليه كما مر وإذا تاب صاحب القلب المريض واجتهد لزوال الشك وحصل العلم بزاوية صحيح فيرقى ويعلو قلبه ويشفي قلبه من الأمراض فيصير القلب القلب السليم.

وكذلك «الشك والجهل» يؤلم القلب قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: «هَلَّا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّ شِفَاءُ الْعَيِّ السُّؤَالُ»[5].

بين ابن تيمية في كتابه أمراض القلوب وشفاؤها صفة الشك والجهل للقلب المريض بقوله:

والشاك في الشيء المرتاب فيه يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين ويقال للعالم الذي أجاب بما يبين الحق: قد شفاني بالجواب. والمرض دون الموت فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل

1– هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. ولد في تاكو (قرب استراباد) سنة 740هـ، ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة 789هـ فرّ الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي وذلك في سنة 816هـ. له نحو خمسين مصنفا، منها "التعريفات – ط " و " شرح مواقف الإيجي – ط " و " شرح كتاب الجغميني " في الهيئة، و " مقاليد العلوم – خ " و " حاشية على الكشاف – خ ". الأعلام للزركلي (5 / 7):

2– التعريفات، للجرجاني (128)

3– التعريفات للجرجاني (80)

4– التعريفات، للجرجاني(80)

5– سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، كتاب الطهارة، بَابٌ فِي الْمَجْرُوحِ يَتَيَمَّمُ، حديث رقم: 336

فله موتٌ ومرضٌ وحياةٌ وشفاءٌ، وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه.[1]

2. الشبهة و الشهوة:

تعريف الشبهة: الشبهة: شبهة، والشبهة بضم الشين المعجمة، وسكون التحتية الموحدة، الالتباس. وأمور مشتبة، ومشبهة، مشكلة، يشبه بعضها بعضًا وشبه عليه، خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره. وشابهه وأشبهه ماثله، وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر، وشبه عليه الأمر: لبس عليه الأمر. ويسمى الأمر غير المتميز والمتلبس شبهة، لكونه يشبه الحق، وليس حقًا[2]وفي الاصطلاح: هو ما لم يتيقن كونه حرامًا أو حلالًا. [3]وسميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق فيها بالباطل، فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل.

تعريف الشهوة: (شَهَوَ) الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الشَّهْوَةُ. يُقَالُ: رَجُلٌ شَهْوَانُ، وَشَيْءٌ شَهِيٌّ. هي حركة للنفس؛ طلبًا للملائم. [4]الشَّهَوَاتُ عِبَارَةٌ عَمَّا يُوَافِقُ الْإِنْسَانَ وَيَشْتَهِيهِ وَيُلَائِمُهُ وَلَا يَتَّقِيهِ. [5]

الشبهة والشهوة من أوصاف القلب المريض الذان يظهران من صاحبه ويقول ابن تيمية في بيان هذا المرض:

إذا ورد عليه شبهةٌ أو شهوةٌ قوت مرضه وإن له حكمةٌ وموعظةٌ كانت من أسباب صلاحه وشفائه. قال تعالى: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}[6] لأن ذلك أورث شبهةً عندهم والقاسية قلوبهم ليسها فأولئك قلوبهم ضعيفةٌ بالمرض فصار ما ألقى الشيطان فتنةً لهم وهؤلاء

1- أنظر: أمراض القلب وشفاؤها، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1399هـ، ص4

2- (لسان العرب لابن منظور. المعجم الوسيط ج1 ص474 القاموس المحيط للفيروزآبادي ج4 ص286 "ط المطبعة المصرية أساس البلاغة للزمخشري ج1 ص477 ط دار الكتب.)

3- التعريفات (1 / 124)

4- التعريفات (1 / 129)و مقاييس اللغة (3 / 220):

5- الامام القرطبي في تفسيره (11 / 125)

6- [سورة الحج آية: 53]

كانت قلوبهم قاسيةً عن الإيمان فصار فتنةً لهم. قال: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ} [1]كما قال: {وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}[2] لم تمت قلوبهم كموت قلوب الكفار والمنافقين وليست صحيحةً صالحةً كصالح قلوب المؤمنين بل فيها مرض شبهةٍ وشهواتٍ وكذلك {فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} [3]وهو مرض الشهوة فإن القلب الصحيح لو تعرضت له المرأة لم يلتفت إليها بخلاف القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه فإذا خضعن بالقول طمع الذي في قلبه مرضٌ. والقرآن شفاءٌ لما في الصدور ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرةٌ ما يوجب صلاح القلب فيرغب القلب فيما ينفعه ويرغب عما يضره فيبقى القلب محبًّا للرشاد مبغضًا للغي بعد أن كان مريدًا للغي مبغضًا للرشاد. فالقرآن مزيلٌ للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي ويغتذي القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده كما يغتذي البدن بما ينميه ويقومه فإن زكاة القلب مثل نماء البدن. [4]

وهذه الصفات (الشك والجهل، والشبهة والشهوة) لا يظهر إلا على القلب المريض الذي يكون غامر والغافل عن الرب عزوجل ولهذه الصفات علاقة داخلية فيما بينهم لأن حيثما يكون الشك والجهل أو الشبة يظهر الأعمال الفاضحة المملوئة بالشبهات والشهوات وقال الله تعالى: {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ}[5]

والغمرة لغة بمعنى: إزالة الشيء، والغمرة معظم الماء الساترة لمقرّها، وجعل مثلا للجهالة التي تغمر صاحبها.. [6]

والله تبارك وتعالى لا يكلف إلا بما في وسع العباد فهو الذي خلقنا أعلم منا، وإنما يكلف علينا لمنفعتنا ولتعريضا الثواب، فإن التكاليف الإلهية من الواجبات والمحرمات إنما هي لسعادتنا في الدنيا

1- [سورة الأحزاب آية: 60]

2- [سورة المدثر آية: 31]

3- [سورة الأحزاب آية: 32]

4- أنظر: أمراض القلب وشفاؤها، لابن تيمية، ص4-5

5- [المؤمنون: 63]

6- مفردات(325)

والآخرة، فأن الله تبارك وتعالى لا يظلم وعنده كتاب ينطق بالحق، بل قلوب الذين لا يؤمنون في غفلة وغمرة من هذا القرآن فإن القلب إذا غشيه غفلة أو جهل فإنه ينكر الحق ويعاديه.

والله تبارك وتعالى بهذه الآيات المباركة بطريق تربوي وبأسلوب الخوف والرجاء يشوّق الناس إلى كسب الفضائل واتصاف بالأخلاق الحميدة والصفات المجيدة، ولا يتصور أحد أن ذلك فوق طاقة الإنسان، بل دفعاً لمثل هذا التوهم قال الله سبحانه {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }[1] فإن نفس الإنسان بسعتها أن تتحمل هذه التكاليف، وإنما مطابقة لطاقة الإنسان، وكل واحد بإمكانه أن يكون سلمان زمانه باستثناء فضله بصحبته صلي الله عليه وسلم، وأويس عصره لأن التكاليف لهما ولنا واحدة، وهي بحسب طاقة الإنسان، إلا أنه كان ظلوما جهولا، فكفر بالله وتخلى عن تكاليفه، وغفل قلبه عن تحمّل الحق، وكسب المعارف الإلهية، وإن الله لا يضيّع عمل عامل من ذكر أو أنثى فإنه الشاكر، ولديه كتاب ينطق بالحق، وهذا التشويق المؤمنين لكسب الفضائل والأعمال الصالحة، وأما من لم يؤمن فقلبه في غمرة وجهل شديد وغفلة شديدة من هذا، وله عمله القبيح الفاسد، فإن الكفار والمشركين ومن يحذو حذوهم لهم أعمال من دون أعمال الصالحين المؤمنين، فبين العملين تقابل كتقابل الإيمان والكفر، فإن الكفار لهم أعمال قبيحة تشغلهم عن أن يكفروا بالأعمال الصالحة والطيبة وكسب الخيرات والفضائل.

فمن لم يفعل الخيرات فإن ذلك دليل على أن قلبه في غمرة وجهل وغفلة، ومن كان له قلب غامر فإنه يرتكب الفضائح والأعمال الشريرة، ولا يبالي بعواقبها من الذلة والخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأعظم لو كانوا يعلمون. [2]

1- [البقرة: 286]

2- (حقيقة القلوب في القرآن الكريم، لسيد عادل العلوي، ط: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، إيران قم، ط:1، 1421هـ، ص149-150)

المبحث الثالث:

القلب المطبوع عليه

أولا: التعريف بالقلب المطبوع عليه:

هو المختوم عليه، الأغلف الذي عليه غلاف، وعليه الأكنة، وهذه أوصاف خاصة بقلوب المنافقين والكفار أيضا، وقد وصفت السنة قلب المنافق بأنه (منكوس) [1]، وقلب الكافر بأنه (أغلف).

الختم أصل واحد وهو بلوغ آخر الشئ يقال ختمت ا لعمل وختم القارئ السورة ، وختام كل مشروب آخره ، قال تعالى {خِتَامُهُ مِسْكٌ}[2]أي آخره ما يجدونه منه عند شربهم إياه رائحته المسك[3]والخاتم مشتق منه ، فالختم يفيد التغطية لأن في الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه بتغطية له لئلا يطلع عليه[4]وكثيرا ما فسر الختم بالطبع[5]لأن الطبع على الشئ لا يكون الا بعد بلوغ آخره في الاحراز وللختم والطبع أثر في اتجاهين ، يقول صاحب المفردات [6]: الختم والطبع على وجهين مصدر ختمت وطبعت وهو تأثير الشئ كنقش الخاتم والطابع والثاني الأثر الحاصل عن النقش وهذا ربما يؤكد ما ذهب اليه بعض العلماء من أن الختم والطبع يكون على سبيل الحقيقة وليس مجازا ، يقول الجبائي : (يجعل الله ختما على قلوب الكفار ليكون دلالة للملائكة على كفرهم فلا يدعون لهم) [7]

وقال الإمام الزمخشري: أن الختم والطبع من باب المجاز [8]، وكأنما استعار لهما وعبر من عدم تقبل الحق بالشئ الموثوق المختوم وذلك اشارة الى ما أجرى الله به العادة من أن الانسان إذا تناهى في اعتقاد باطل وارتكاب محظور ولا يكون منه تلفت بوجه الى الحق يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي وكأنما يختم بذلك على قلبه فلا ختم ولا تغشية على الحقيقة وإنما المراد بهما أن يحدث في

1- مسند أحمد، (17 / 208) حديث رقم: 11129

2- [المطففين: 26]

3- ابن فارس ، المقاييس (ختم)

4- النسفي ، تفسيره : ١ / ١٥

5- أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: 815هـ) ، التبيان في تفسير غريب القرآن : ١ / ٥٥

6- الاصفهاني ، المفردات (ختم).

7- م . ن: (ختم).

8- ينظر: الكشاف (29/1).

نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم فتجعل قلوبهم بحيث لاينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه[1]وكما أن القرآن الكريم أسند فعل الطبع الله (عز وجل) أسند الختم اليه (عز وجل) وفسر هذا الاسناد صاحب المناهل بقوله: (فإن قلت لم أسند الختم إلي الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله منزه عن فعل القبيح بدليل قوله ((وما أنا بظلام للعبيد)) [2] وإنما في الكلام استعارة أو مجاز على أن الشيطان هو الخاتم أو الكافر واسند الى الله لأنه هو الذي أقدره ومكنه [3].

وبخلاف الختم الربط ، فالختم على القلب ضعف وزوال الصبر بخلاف الربط على القلب ، والختم على القلب لا يستلزم الصبر بل قد يختم على قلب العبد يعني يسلبه صبره والربط يستلزم الصبر حتى يقال لكل من صبر على أمر ربط على قلبه وكأنه حبس قلبه عن الاضطراب ومنه يقال هو رابط الجأش. ثم أن الختم هو شد القلب حتى لايشعر ولايفهم فهو مانع يمنع العلم والتقصد[4] .ويتجوز بذلك الختم بالاستيثاق من الشئ والمنع منه اعتبارا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب ، في حين أن الربط في اللغة هو الشد على القلب ليتحصل الثبات والفهم للعبد. فاستعمل تبعا لذلك الربط في شأن المؤمنين والختم في شأن الكفار فالرابط على قلب العبد لا يقال له ختم على قلبه ولايعرف هذا في عرف المخاطب ولا لغة العرب ولا هو المعهود في القرآن الكريم بل المعهود استعمال الختم على القلب في شأن الكفار في جميع موارد اللفظ في القرآن الكريم [5] .وهذا ما يعرف بظاهرة تخصيص اللفظ أو اللفظ المخصوص في القرآن الكريم ، فثبت استعمال الفاظ في موارد الكفار مثلا ولا يتم استعمالها في موارد تخص المؤمنين أو استعملت في موارد تخص ذكر النار وأهلها فلا يتم استعمالها في موارد ذكر الجنة وأهلها ... وهذا الثبات في الاستعمال مستمد من ثبات سلوك العبد الكافر أو المؤمن ، ومن هنا كانت لكل منهما الفاظه الخاصة. فحقيقة الختم مثلا الاستيثاق من الشئ كي لايدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه ما فيه[6]وبهذا حكم العبد على نفسه فحكم الله عليه بالختم ، وهذه الهيئة والحالة خاصة بقلب العبد

1- ينظر البيضاوي ، تفسيره : ١ / ١٤٣. ١٤٤.

2- (ق / ٢٩)

3- ينظر مناهل العرفان :٢ / ٥٢.

4- الزرعي ، التبيان في أقسام : ١ / ١١٨.

5- التدرج الدلالي لوصف القلب في القرآن الكريم ١ / ١١٦ .

6- البغوي ، تفسيره : ١ / ٤٩.

الكافر فاختصت في وصفه وحسب. ومن الجدير بالذكر ارتباط الختم على القلب بالختم على السمع والبصر وعلل ذلك صاحب البرهان[1]بقوله : (لأن الحواس خدمة للقلب وموصلة اليه) ففي البقرة قدم ذكر القلب وأخر السمع والبصر أما في الأنعام قدم السمع والبصر وأخر القلب وفي الجاثية توسط ذكر القلب ما بين السمع والبصر. فمن المناسب تقدم ذكر القلب في البقرة لان المقام مقام استواء الانذار من عدمه للذين لا يؤمنون ، فكأنما الله (عزوجل) يخاطب هذه القلوب الجاحدة وجحودها ختم الله عليها وما السمع والبصر إلا وسائط للتلقي فختم عليها تبعا لختم القلب. أما في الانعام فالمقام مقام تذكيرهم بما نسوا قال تعالى { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}[2]والنسيان هنا يخص ما سمعوا وما أبصروا حيث قال {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[3] .فناسب تقديم السمع والبصر لاستحسان ما ختم به الآية فقال {انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ}[4]والنظر هنا يقصد به التدبر والتفكر وما السمع والبصر إلا الالات للتدبر والتفكر.

أما في الجاثية فكان تقدمة الحديث عن الهوى والضلالة على علم ، فقدم السمع لأنه مصدر تلقي العلم وذكر القلب لأنه محل الهوى وأخر ذكر البصر لأنه بحصول الضلالة جعلت الغشاوة على البصر[5] .فلحظ القرآن الكريم مراعاة الترتيب في ذكر موارد التلقي للانسان من القلب الى السمع والبصر. ولما قدم السمع على البصر ، راعى في ذلك أيضا غلبة المصدرية والافراد للسمع بخلاف البصر لأن الأخير اشتهر في الجارحة فحين يستعمل القرآن السمع في الجارحة جوز جمعه قال : يجعلون أصابعهم في آذانهم حذر الموت[6]. وقيل أيضا أن متعلق السمع الأصوات وهو حقيقة واحدة ومتعلق البصر الالوان والأكوان وهي حقائق مختلفة لذا أفرد السمع وجمع البصر ، بل قيل أن البصر نور العين

1- الزركشي ، البرهان : ٣ / ٢٥٤.

2- [الأنعام: 44]

3- [الأنعام: 45]

4- [الأنعام: 46]

5- م . ن : ٢ / ١٩٧-٣ / ٢٥٤.

6- (البقرة / ١٩)

معنى متعدد بتعدد المقلتين وكذلك السمع فإنه معنى واحد ولهذا إذا غطيت احدى المقلتين ينتقل نورها الى الآخر بخلاف السمع فإنه ينقص بنقصان أحدهما .[1]

قال تعالى عن المنافقين: (وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقَاعِدِينَ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ) [2] ، وقال تعالى: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [3].

قال الطبري–رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: رضي هؤلاء المنافقون– الذين إذا قيل لهم: آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله، استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين –أن يكونوا في منازلهم، كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد، فهن قعود في منازلهنّ وبيوتهنّ، (وطبع على قلوبهم)، يقول: وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين، (فهم لا يفقهون)، عن الله مواعظه، فيتعظون بها"[4]

ختم عليها فلا تصل إليها حقيقة من الهدى ولا صدى... فلا نور يوصوص لها ولا هدى.! وقد طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وغشي على أبصارهم جزاء وفاقاً على استهتارهم بالإنذار، حتى تساوى لديهم الإنذار وعدم الإنذار. إنها صورة صلدة، مظلمة، جامدة، ترتسم من خلال الحركة الثابتة الجازمة. حركة الختم على القلوب والأسماع، والتغشية على العيون والأبصار.. [5]

فهي ليست مغلفة بطبعها. إنما هم كفرهم جر عليهم أن يطبع الله على قلوبهم، فإذا هي صلدة جامدة مغطاة، لا تستشعر نداوة الإيمان ولا تتذوق حلاوته، فلا يقع منهم الإيمان، إلا قليلا، ممن لم يستحق بفعله، أن يطبع الله على قلبه. أي أولئك الذين فتحوا قلوبهم للحق واستشرفوه، فهداهم الله إليه ورزقهم إياه. وهم قلة قليلة من اليهود. كعبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسد بن سعية، وأسد بن عبيد الله.. [6]

1– م . ن : ٤ / ١٩ ، وينظر الطبري ، تفسيره : ١ / ١١٤.

2– [التوبة – الآيتان:86–87]

3– [التوبة – الآية: 93]

4 – تفسير الطبري – (ج 14 / ص 412–413).

5 – انظر: في ظلال القرآن (1 / 42):

6 – انظر: في ظلال القرآن (2 / 801):

وقال تعالى عنهم: (وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىَ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءهُمْ) [محمد - الآية: 16]. وقد روى الطبري عن قتادة، في قوله: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ)، قال: هؤلاء المنافقون"[1].

وقال تعالى عن الكفار: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ* خَتَمَ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىَ سَمْعِهِمْ وَعَلَىَ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ) [2].

قال الطبري–رحمه الله: والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ)، نظيرُ الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف، التي لا يوصَل إلى ما فيها إلا بفضِّ ذلك عنها ثم حلّها. فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وَصَف الله أنه ختم على قلوبهم، إلا بعد فضِّه خاتمَه وحلِّه رباطَه عنها"[3].

قال ابن عاشور–رحمه الله: "والختم حقيقته السد على الإناء والغلقُ على الكتاب بطين ونحوه، مع وضع علامة مرسومة في خاتَم، ليمنع ذلك من فتح المختوم، فإذا فُتح علم صاحبه أنه فتح، لفسادٍ يظهر في أثر النقش"[4].

وقال تعالى: (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ) [5]. قال الطبري–رحمه الله: فأما الذين قرأوها بسكون اللام وتخفيفها، فإنهم تأولوها، أنهم قالوا: قلوبنا في أكنة وأغطية وغلُف. و"الغُلْف" جمع"أغلف"، وهو الذي في غلاف وغطاء، كما يقال للرجل الذي لم يختتن "أغلف"، والمرأة "غلفاء". وكما يقال للسيف إذا كان في غلافه: "سيف أغلف"، وقوس غلفاء" وجمعها"غُلْف"[6].

وروى الطبري–رحمه الله، عن ابن زيد وغيره في قوله: (قلوبنا غلف)، قال يقول: قلبي في غلاف، فلا يخلص إليه مما تقول شيء، وقرأ: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) [7][8]. ثُمَّ قَرَّر الطبري–رحمه

---

1 - تفسير الطبري - (ج 22 / ص 169).

2- [البقرة - الآيتان:6-7]

3 - تفسير الطبري - (ج 1 / ص 261).

4 - التحرير والتنوير - (1 / 94).

5- [البقرة - الآية: 88]

6 - انظر: تفسير الطبري - (ج 2 / ص 324).

7- [فصلت -آية: 5]

8 - تفسير الطبري - (ج 2 / ص 327).

الله أن معنى الآية: "وقالت اليهود قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه يا محمد. فقال الله تعالى ذكره: ما ذلك كما زعموا، ولكن الله أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته، وطردهم عنها، وأخزاهم بجحودهم له ولرسله، فقليلا ما يؤمنون"[1].

وقال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [2].

و قال تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) [3]قال الطبري–رحمه الله: "(بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ)، يقول جل ثناؤه: كذبوا في قولهم: (قُلُوبُنَا غُلْفٌ)، ما هي بغلف، ولا عليها أغطية، ولكن الله جل ثناؤه جعل عليها طابعًا بكفرهم بالله"[4].

قال تعالى: (وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيَ آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىَ إِذَا جَآءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوَاْ إِنْ هَـذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) [5].
وقال تعالى: (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيَ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) [6].

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء العادلين بربّهم الأوثانَ والأصنامَ من قومك، يا محمد (من يستمع إليك)، يقول: من يستمع القرآن منك، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك، وأمره ونهيه، ولا يفقه ما تقول ولا يُوعِيه قلبَه، ولا يتدبره، ولا يصغي له سمعه، ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليك، إنما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك، ولا يعقل عنك ما تقول، لأن الله قد جعل على قلبه (أكنّة). وهي جمع "كنان"، وهو الغطاء، مثل: "سِنان"، "وأسنة". يقال منه: "أكننت

---

1 – تفسير الطبري – (ج 2 / ص 329).
2–[النحل – الآيتان:107–108]
3– [النساء – الآية: 155]
4 – تفسير الطبري – (ج 9 / ص 363).
5– [الأنعام – الآية: 25]
6– [فصلت – الآية: 5]

الشيءَ في نفسي"، بالألف، "وكننت الشيء"، إذا غطيته، ومن ذلك قوله تعالى: (بَيْضٌ مَكْنُونٌ)[1]، وهو الغطاء، يعني: غطاؤهم الذي يكنُّهم[2].

قال تعالى: (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ* كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[3].

قال الطبري–رحمه الله: (رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ)، يقول: غلب على قلوبهم وغَمَرها وأحاطت بها الذنوب فغطتها، يقال منه: رانت الخمر على عقله، فهي تَرِين عليه رَيْنا، وذلك إذا سكر، فغلبت على عقله"[4].

قال ابن عاشور–رحمه الله: والرّين: الصدأ الذي يعلو حديدَ السيف والمرآةِ، ويقال في مصدر الرَّين: الرانُ مثل العيب والعَاب، وأصل فعله أن يسند إلى الشيء الذي أصابه الرّين، فيقال: ران السيف وران الثوب، إذا أصابه الرّين، أي صار ذا رين. ولما فيه من معنى التغطية أطلق على التغطية فجاء منه فعل ران بمعنى غشي، ومنه قوله تعالى: (ران على قلوبهم)، والمعنى : غَطَّت على قلوبهم أعمالهم أن يدخلها فهمُ القرآن[5].

هكذا يظهر لنا من خلال سياق الآيات القرآنية أن الحديث عن هذه الأوصاف خاص بالمنافقين والكفار، غير أن الدرس الذي ينبغي أن يعيه المؤمن ولا ينبغي له أن يغفل عنه هو أن على المؤمن أن يبحث عن قلبه بين هذه الأقسام، ويجد له محلا بينها، فإما أن يكون قلبه سليما، أو يكون مريضا أو مطبوعا عليه.

ثانيا: أوصاف القلب المطبوع عليه في القرآن:

وردت أسماء التالية في القرآن الكريم للقلب المختوم عليه:

(**المَخْتُومُ** : فلم يسمع الهدى ولم يعقله. {وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ} ﴿الجاثية: ٢٣﴾)

1- [الصافات –آية:49]

2 – انظر: تفسير الطبري – (ج 11 / ص 305–306).

3- [المطففين – الآيتان:13–14]

4 – تفسير الطبري – (ج 24 / ص 286).

5 – التحرير والتنوير – (ج 16 / ص 160).

(المقفل: الأقفال على القلوب بسبب سوء عملهم وذنوبهم (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[1] وإضافة (أقفال) إلى ضمير قلوب نظم بديع أشار إلى اختصاص الأقفال بتلك القلوب، أي ملازمتها لها فدل على أنها قاسية)

قلوبهم في أكنة: قال تعالى: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ، وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها» ..ويقول سيد قطب شهيد: والأكنة: الأغلفة التي تحول دون أن تنفتح هذه القلوب فتفقه. وهذه النماذج البشرية التي تستمع ولكنها لا تفقه، كأن ليس لها قلوب تدرك وكأن ليس لها آذان تسمع.. نماذج مكرورة في البشرية في كل جيل وفي كل قبيل، في كل زمان وفي كل مكان.. إنهم أناسي من بني آدم.. ولكنهم يسمعون القول وكأنهم لا يسمعونه. كأن آذانهم صماء لا تؤدي وظيفتها. وكأن إدراكهم في غلاف لا تنفذ إليه مدلولات ما سمعته الآذان! «وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها. حَتَّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ. يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» ..فأعينهم ترى كذلك. ولكن كأنها لا تبصر. أو كأن ما تبصره لا يصل إلى قلوبهم وعقولهم! فما الذي أصاب القوم يا ترى؟ ما الذي يحول بينهم وبين التلقي والاستجابة. بينما لهم آذان ولهم عيون ولهم عقول؟ وهذا يعبر عن قضاء الله فيهم بألا يتلقى إدراكهم هذا الحق ولا يفقهه وبألا تؤدي أسماعهم وظيفتها فتنقل إلى إدراكهم ما تسمع من هذا الحق فتستجيب له، مهما يروا من دلائل الهدى وموحيات الإيمان.غير أنه يبقى أن نلتمس سنة الله في هذا القضاء.. إنه سبحانه يقول: «وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا».. فشأن الله– سبحانه– أن يهدي من يجاهد ليبلغ الهدى وأن يفلح من يزكي نفسه ويطهرها.. فأما هؤلاء فلم يتجهوا إلى الهدى ليهديهم الله ولم يحاولوا أن يستخدموا أجهزة الاستقبال الفطرية في كيانهم، فييسر الله لهم الاستجابة.. هؤلاء عطلوا أجهزتهم الفطرية ابتداء فجعل الله بينهم وبين الهدى حجاباً وجرى قضاؤه فيهم بهذا الذي جرى جزاء على فعلهم الأول ونيتهم الأولى.. وكل شيء إنما يكون بأمر الله. ومن أمر الله أن يهدي من يجاهد، وأن يفلح من يتزكى. ومن أمر الله أن يجعل على قلوب المعرضين أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها...[2]

أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها (24)

---

[1] التحرير والتنوير (26 / 114)

[2] انظر: في ظلال القرآن (2 / 1065) ، تفسير القرآن الكريم لابن القيم (1 / 477)

قال ابن عباس: يريد على قلوب هؤلاء أقفال.

وقال مقاتل: يعني الطبع على القلب. وكأن القلب بمنزلة الباب المرتج، الذي قد ضرب عليه قفل. فإنه إن ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب والوصول إلى ما وراءه. وكذلك ما لم يرفع الختم والقفل عن القلب لم يدخل الإيمان ولا القرآن.

وتأمل تنكير القلوب وتعريف الأقفال بالإضافة إلى ضمير القلوب. فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء من هم بهذه الصفة. ولو قال: أم على القلوب أقفالها. لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة.

وفي قوله «أقفالها» بالتعريف نوع تأكيد. فإنه لو قال: أقفال. لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم. فلما أضافها إلى ضمير القلوب علم أن المراد بها ما هو للقلب بمنزلة القفل للباب، فكأنه أراد أقفالها المختصة بها، التي لا تكون لغيرها والله أعلم.

المُتَكَبِّرْ : مستكبر عن توحيد الله وطاعته،جبار بكثرة ظلمه وعدوانه {قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}[1]

ثالثا: من أهم صفاة القلب المختوم عليه:

1. الكبر:

الكبر :قال تعالى " إن في صدورهم إلا كبر...." (غافر/٥٦) وقال:((كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار)) (غافر / ٣٥)

في اللغة : الكبر نقيض الصغر ، كبرا كبرا فهو كبير وكبار بالتشديد إذا أفرط[2] واستكبر الشئ رآه كبيرا ، والكبير في صفه الله العظيم الجليل. والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده ، والكبرياء العظمه جاءت على فعلياء اي العظيم ذو الكبرياء ، وقيل المتعالي عن صفات الخلق وقيل المتكبر على عتاة خلقه اي العظيم ذو الكبرياء وقيل المتعالي عن صفات خلقه والتاء فيه للتفرد والتخصص لاتاء التعاطي

1- ﴿غافر: ٣٥﴾

2- الرازي ، مختار الصحاح (كبر).

والتكلف. والكبرياء العظمة.والملك وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها الا الله [1]. فالكبر الجدال لايقع بحجه وانما يقع عن جهل [2].

باضافة قلب الى متكبر أي على اجزائه وقراءة التنوين لعموم افراد القلب [3] وصفة له والمراد صاحب القلب اما اضافة كل الى القلب فيراد بها عموم القلب لاستيعاب كل قلب بالطبع [4] وهو في المعنى كقراءة من قرأ على قلب كل متكبر [5]. أو على حذف مضاف اي كل ذي أو على حذف مضاف اي كل ذي قلب متكبر. إلا أنني أجد أن الاضافة حذفت لانه أريد القلب في وصفه ، فوصف القلب لأ نه منبع الافعال والميول. [6]

في قوله تعالى: (قلب متكبر جبار) فسر الله ما قبلها وهي (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) فإن الذي يبذر في حياته ويسرف وهو شاك ومرتاب، فإنه يعرض عن الحق ويتبع هوى نفسه، فلا يعتمد على ما فيه العلم والمنطق والحجة والبرهان، فيجادل في آيأت الله بغير سلطان من العلم، فالقلب الذي يكون على هذا الوصف الرزيل يطبع الله عليه فلا يستمع لكلام الحق، ويتجبر ويتكبر على الآخرين فهذا من صفات كل قلب متكبر جبآر مطبوع ومختوم. أما القلب المؤمن يكون عكسه فيكون متواضع للحق ويقبل الدليل والبرهان ومن لم يقبل الحجة فقلبه قلب متكبر ومن الطغاة الجبابرة، فيطبع بسبب كبره واستمراره على هذه الوصف فلا يؤثر فيه نصيحة الواعظين وينكر الحقائق والدلائل والواقعية ويتخلف عن حصول المعارف الإلهية ويجادل مع كل واحد حتى مع الله ورسوله بغير علم[7].

1- ابن منظور ، اللسان (كبر).

2- بن قاسم ، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم ، اعجاز القرآن ، تح : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة : ١١١

3- محمد الغزي ، الاتقان : ١ / ٤٩٣.

4- أبو البقاء محمد بن عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء (ت . ٦١٦ هـ) ، التبيان في اعراب القرآن ، تح : علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية : ٢ / ٢١٩.

5- ينظر بن مجاهد البغدادي ، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت . ٣٢٤ هـ) ، كتاب السبعة في القراءات ، تح : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ : ٥٧٠ ، وهي قراءة أبي السعود ، وينظر زاد المسير : ٧ / ٢٢٣.

6 - ينظر النسفي ، تفسيره : ٤ / ٧٤ ، وينظر الالوسي ، روح المعاني ٢٤ / ٩٨.

7 انظر: (حقيقة القلوب في القرآن، ص132)

2. التشتيت والتفرق:

والتشتيت التفرق:قال تعالى ((تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى)) [1] شتت الشتت الافتراق والتفريق يقال شت شعبهم يشت شتا وشتاتا وانشت وتشتت أي تفرق جمعهم جاء القوم اشتاتا وشتاتا ، يقال وقعوا في أمر شت وشتى[2]وشتته تشتيتا فرقه وقوم شتى وأشياء شتى. وجاءوا اشتاتا أي متفرقون واحدهم شت بالفتح ويقال شتان ما بينهما ، أي بعد ما بينهما [3]وابن منظور يقول : وجاء الاستعمال القرآني ليصف شتات القلوب بقوله (وقلوبهم شتى) أي متباغضون غير متفقين [4]وجميعا يعني مجتمعين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بأنهم قوم لا يعقلون [5]. أو أنهم مجتمعون على رأي أو أمر وقلوبهم شتى متفرقة [6]أو يقصد بها أن تراهم مجتمعين.

ومثال أهل القلب المختوم عليه بصفت التشتيت هم بني نضير وغيرهم من المنافقين، لقد كان بنو النضير من اليهود يسكنون قلاعا وحصونا في أطراف المدينة المنورة، ومع المنافقين حينما كانوا يواجهون المسلمين في الحروب والمعارك كان الله يلقي في قلوبهم الرعب، فيخافون من المسلمين ولا يقاتلونهم جميعا، إلا في قرى محصنة، أو كانوا يقاتلونهم من وراء الجدران بسبب الخوف الذي كان في قلوبهم، وإنما كان لهم الشجاعة والبأس فيما بينهم، وربما يحسبهم من يشاهدهم أنهم متحدون ومجتمعون وكجسد واحد، إلا أن ظاهرهم كذلك، وقلوبهم متشتتة لأنهم قوم لا يعقلون ولا يفكرون ولا يدبرون والله تعالى ختم وطبع على قلوبهم بسبب كفرهم ونفاقهم، فإن العقل هو الذي يدعوا الإنسان إلى عبادة الرحمن ويحصل به الجنان فكان عليهم أن يؤمنوا بخاتم النبيين كما كان عليهم أن يتحدوا ويجمعوا فإن من قلّ عقله لا يتحد مع أخيه، والأمة التي تفقد عقلها الإجتماعي فإنها تصاب بالفشل والانحطاط والتمزق والتشتت والإختلاف ومن كان له قلب متشتت فإن ذلك من علائم النفاق والخوف والرعب.

---

1 - (الحشر / ٤)

2 - م. ن (شت) ، الفيروزآبادي (شت).

3 - الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، تح : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون ، طبعة جديدة ، ١٩٩٥ م ، بيروت : (شت).

4 - القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن : ٦ / ٢٤٠.

5 - البيضاوي ، تفسيره : ٥ / ٣٢٢.

6 - القرطبي ،تفسيره : ١٨ / ٣٦.

المبحث الرابع:

القلب القاسي الميت:

"القسوة"في القرآن الكريم:

القسوة:قال تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ 1وفي قوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ 2أما في (الانعام فقال ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾3وقال في(الحج ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ(4) (وأما في (الحديد فقال : ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾5

القسوة في اللغة:من قسا قلبه قسوة وقساوة وقساء بالفتح والمد وهو غلظ القلب .

." قسا يقسو قسوة اشتد وقسا فهو قاس". وشدته وأقساه الذنب ، ويقال الذنب مقساة للقلب (6) (واستعمل ابو حنيفة القسوة في الازمنة فقال(من أحوال الازمنة قسوتها ولينها ، وأرض قاسية شيئا تأويل قست في اللغة غلظت ويبست وعست فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه (7)وقاسي القلب غليظ (8)أو أنها لاتعي خيرا ولا تفعله والقاسية والعاتية بمعنى واحد ، وقرأ الكسائي . وحمزة قسية بتشديد الياء من غير الف(9)

1:البقرة / ٧٤

2:المائدة / ١٣)

3:الانعام /٤٣

4:الحج / ٥٣

5:الحديد:16

6:انظر ابن منظور ، اللسان (قسا) ، الزبيدي ، تاج العروس (قسا)

7:. انظر ابن منظور ، اللسان ، ن (قسا) (181/15)

8:. البيضاوي ، تفسير/10هـ

9 مجلة كلية التربية للبنات المجلد ٢١(١) ٢٠١٠

وقيل هو من الدراهم القسيات أي : الفاسدة الرديئة . فمعنى قسية على هذا ليست بخالصة الايمان لأنه يقال درهم قسي إذا كان مغشوشا ([1]). والفراء يذهب الى أن تقدير فعيلة أبلغ من فاعلة ، أي : جعلنا قلوبهم غليظة نابية عن الايمان والتوفيق لطاعته لان القوم لم يوصفوا بشئ من الايمان فتكون قلوبهم موصوفة فان ايمانها خالطه كفر كالدراهم القسية التي خالطها غش [2]. ولخص الطبري كلا الرأيين قال: (على تقدير فاعلة من قسوة القلب وذلك إذا غلظ واشتد . أو من القسي أي ليس خالص الايمان[3]

والقرآن الكريم استعمل هذا الوصف بكلا الدلالتين والذي يؤكد الدلالة ما ختم به الآية الكريمة ففي البقرة قال فهي كالحجارة أو أشد قسوة وذلك يذهب بنا الى أن الدلالة تقتضي ان يذهب المعنى الى الغلظ والشدة لتشبيهها بالحجارة ، أما في المائدة فقدم وقال يحرفون الكلم وحقيقة التحريف تقتضي عدم خلوص الايمان واقتضاء الغش ، وفي الانعام قال زين لهم الشيطان والتزيين موافق للغش وفساد القلب وكذلك في الحج نجد الفتنة والذين في قلوبهم مرض وهم الذين أصابتهم قسوة القلب . فالذين أصابتهم القسوة إذا ما أوغلت قلوبهم أكثر فأكثر يصلون الى الذين في قلوبهم مرض ، فالذين في قلوبهم مرض أوغل وأقوى درجة . ففي الحديد قال(فطال عليهم الأمد) وطول الأمد يورث الغلظة واليبس في القلب ويولد الصلابة فلا تنشرح القلوب للايمان ولا تقبل الحق ([4]) فكلا المعنيين استعملهما القرآن الكريم كما بينا والسياق يحدد دلالة المعنى المستعمل.

وما يقابل القاسية قلوبهم الذين انشرح صدرهم للايمان ذلك أن الايمان يتطلب اللين في القلب ، قال تعالى : ((فمن يرد أن يهديه يشرح صدره للاسلام)) (الانعام / ١٢٥).

.الذي ليس فيه حياة، وهذا الوصف في القرآن الكريم خاص بقلوب الكفار دون غيرهم، ولم يشترك المنافقون معهم فيه.

---

[1]:القرطبي ، تفسيره : ٦ / ١١٥

277:النحاس ، معاني القرآن : ٢ / ٢٨١ :.

278ينظر الطبري ، تفسيره : ٦ / ١٥٤ ، ابن كثير ، تفسيره : ٢ / ٣٤ ، الالوسي ، روح المعاني ٦ / ٨٩ :

279:الشوكاني ، فتح القدير : ٢ / ٤٦٨ ، الواحدي ، تفسيره : ١ / ٣١٢ ، أبو السعود ، تفسيره : ٤ / ١٧٢ :.

وفي الاصطلاح القرآني: القسوة في القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه، وقَسا قلبه قَسْوة وقساوة وقَسا، بالفتح والمد: وهو غلظ القلب وشدَّته، وأَقْساه الذنب(1).

قوله تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ، فقسوة القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه. والقاسي: والعاسي: الشديد الصلابة[2]

وقد عرف شيخ الإسلام –رحمه الله القلب القاسي فقال: "هو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا ينطبع، ولا يكتب فيه الإيمان، ولا يرتسم فيه العلم؛ لأن ذلك يستدعي محلاً ليناً قابلاً"(3).

قال تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)[البقرة – الآيتان:73–74].

قال أبو جعفر–رحمه الله: "يقول: ثم صلبت قلوبكم –بعد إذ رأيتم الحق فتبينتموه وعرفتموه– عن الخضوع له والإذعان لواجب حق الله عليكم، فقلوبكم كالحجارة صلابة وبيسا وغلظا وشدة، أو أشد قسوة"(4).

قال تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[المائدة – الآية: 13].

قال الطبري–رحمه الله: من "قسوة القلب"، من قول القائل: "قَسَا قلبه، فهو يقسُو وهو قاسٍ"، وذلك إذا غلظ واشتدّ وصار يابسًا صلبًا"(5).

قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله في معنى هذه الآية: "فأخبر أن قسوة قلوبهم كانت عقوبة لهم على نقضهم ميثاق الله، وهي مخالفتهم لأمره، وارتكابهم لنهيه، بعد أن أخذت عليهم مواثيق الله وعهوده ألا تفعلوا ذلك .. إلى أن قال –رحمه الله: فإن من تفقه لغير العمل يقسو قلبه، فلا يشتغل بالعمل، بل

---

1 – انظر : مختار الصحاح، ولسان العرب، مادة (قسا) .

2 زاد المسير في علم التفسير (1 / 79)

3 – مجموع الفتاوى (271/13) .

4 – تفسير الطبري – (ج 2 / ص 234).

5 – تفسير الطبري – (ج 10 / ص 126).

بتحريف الكلم وصرف ألفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها ... الثاني: نسيان حظ مما ذكروا به من العلم النافع، فلا تتعظ قلوبهم، بل يذمون من تعلم ما يبكيه ويرق به قلبه ويسمونه قاصاً"(1).

وقال تعالى: (فَلَوْلاَ إِذْ جَآءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[الأنعام - الآية: 43].

قال تعالى: (لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)[الحج - الآية: 53].

قال الطبري-رحمه الله: يقول تعالى ذكره: فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثُم يُحكم الله آياته، كي يجعل ما يلقي الشيطان في أمنية نبيه من الباطل.... فتنة، يقول: اختبارا يختبر به الذين في قلوبهم مرض من النفاق، وذلك الشكّ في صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحقيقة ما يخبرهم به. وروى عن ابن جُرَيج، في قوله: (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يقول: وللذين قست قلوبهم عن الإيمان بالله، فلا تلين ولا ترعوي، وهم المشركون بالله. وعن ابن جُرَيج أيضا: (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) قال: المشركون(2).

قال ابن كثير-رحمه الله: (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أي: شك وشرك وكفر ونفاق، كالمشركين حين فرحوا بذلك، واعتقدوا أنه صحيح، وإنما كان من الشيطان. قال ابن جريج: (لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) هم: المنافقون، (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ): المشركون. وقال مقاتل بن حيان: هم [الكافرون] اليهود(3).

وقال تعالى: (أَفَمَن شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَىَ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)[الزمر - الآية: 22]. قال الطبري-رحمه الله: "قوله: (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره: فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت، يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره، مذكرا به عباده، فلم يؤمن به، ولم يصدّق بما فيه"(4).

---

1 - انظر : بيان فضل علم السلف على علم الخلف (ص99-101).

2 - انظر: تفسير الطبري - (ج 18 / ص 668-669).

3 - انظر: تفسير ابن كثير - (ج 5 / ص 445-446).

4 - تفسير الطبري - (ج 21 / ص 278).

وقال تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوَاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) [الحديد - الآية: 16].

وقال ابن القيم -رحمه الله في تعريف القلب القاسي الميت: "هو الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله: حباً، وخوفاً، ورجاء، ورضا، وسخطاً، وتعظيماً، وذلاً. إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه. فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه. فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه. فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور. ينادَى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، ولا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد. الدنيا تسخطه وترضيه. والهوى يُصِمّه عما سوى الباطل ويعميه، ... فمخالطة صاحب هذا القلب سَقَم، ومعاشرته سُمّ، ومجالسته هلاك"(1).

ثانيا: صفات القلب القاسي الميت:

وردت في القرآن الكريم أسماء عديدة للقلب القاسي الميت[2] وأذكر بعض منها في السطور التالية:

«وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» ..

والقلب الذي لا ترده الشدة إلى الله قلب تحجر فلم تعد فيه نداوة تعصرها الشدة! ومات فلم تعد الشدة تثير فيه الإحساس! وتعطلت أجهزة الاستقبال الفطرية فيه، فلم يعد يستشعر هذه الوخزة الموقظة، التي تنبه القلوب الحية للتلقي والاستجابة. والشدة ابتلاء من الله للعبد فمن كان حياً أيقظته، وفتحت مغاليق قلبه، وردته إلى ربه وكانت رحمة له من الرحمة التي كتبها الله على نفسه.. ومن كان ميتاً حسبت عليه، ولم تفده شيئاً، وإنما أسقطت عذره وحجته، وكانت عليه شقوة، وكانت موطئة للعذاب! وهذه الأمم التي يقص الله- سبحانه- من أنبائها على رسوله- صلى الله عليه وسلم- ومن وراءه من أمته..

لم تفد من الشدة شيئاً. لم تتضرع إلى الله، ولم ترجع عما زينه لها الشيطان من الإعراض والعناد..

وهنا يملي لها الله- سبحانه:«فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ. حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً، فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ. فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» [1]..

---

1 - إغاثة اللهفان (9/1). وانظر في هذا الموضوع: مجلة جامعة أم القرى العدد 23، مرض القلوب وشفاؤها (10/ 337- 338).

[2] في ظلال القرآن (2 / 1089): في ظلال القرآن (2 / 1090)

صفات القلب القاسي الميت:

(١) القلبُ الأَعْمَى : وهو الذي لا يبصر ولا يدرك الحق والإعتبار {وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[2]

(٢) القلبُ القَاسِي : لا يلين للإيمان ولا يؤثّر فيه زجر وأعرض عن ذكر الله. {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً[3]

(٣) القلبُ الزَّائِغ : مائل عن الحقّ {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ}[4]

{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14 كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ } [المطففين: 14 – 16

ثالثاً: أهم صفات القلب القاسي الميت:

1. الزيغ والانحراف عن الحق:

الظلم: (قد يظهر بالغش وهو تحريف الكتب، وقد يظهر بقتل الأنبياء والمحاربة معهم، بقاء بالكفر رغم أنه باطل ووضوحه أمامهم كوضوح الشمس)

2. الفساد: (كما بينه البيضاوي، أنه خلل في الداخل)

3. الجحود:

4. الشرك والكفر[5]

الجحود لغة:

الجحود والجحد مصدر قولهم: جحد يجحد جحدا وجحودا وهو مأخوذ من مادّة (ج ح د) الّتي تدلّ على قلّة الخير. يقال: عام جحد: قليل المطر، والجحد من كلّ شيء، القلّة.

1:الأنعام:44

2:﴿الحج: ٤٦

3:﴿المائدة: ١٣

4:آل عمران:7

5 نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (9 / 4326)

وقال الشّيبانيّ: أجحد الرّجل وجحد إذا أنفض وذهب ماله ... ومن هذا الباب الجحود، ولا يكون إلّا مع علم الجاحد به أنّه صحيح. قال الله تعالى: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ (النمل/ 14) وما جاء جاحد بخير قطّ[1] .

ويقول الجوهريّ: الجحود: الإنكار مع العلم.يقال: جحده حقّه وبحقّه، والجحد أيضا: قلّة الخير، وكذلك الجحد بالضّمّ ... والجحد بالتّحريك مثله. يقال: نكدا له وجحدا. وجحد الرّجل- بالكسر- جحدا، فهو جحد إذا كان ضيّقا قليل الخير، وأجحد مثله(2).

وقال الرّاغب: يقال: رجل جحد شحيح، قليل الخير، يظهر الفقر ... وأجحد: صار ذا جحد 3 .والجحد والجحد: الضّيق في المعيشة، يقال: جحد عيشهم جحدا، إذا ضاق واشتدّ 4 .وجحد فلانا: صادفه بخيلا، قليل الخير..وجحد: نكد. وفرس جحد- ككتف- غليظ قصير، وجمعه جحاد 5 .

الجحود اصطلاحا:

قال الجرجانيّ: هو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل في الماضي 6 .

يقول الرّاغب: الجحود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه7.

وقال المناويّ: الجحد إنكار ما سبق له وجود، وهو خلاف النّفي8.

---

[1]:المقاييس (1/ 426) .

[2]:الصحاح (2/ 452)

[3]:المفردات (88) .

[4]:اللسان (1/ 547)

[5]:التاج (4/ 376، 377) .

[6]:التعريفات (77) .

[7]:المفردات (88) .

[8]:التوقيف (121) .

الفرق بين النفي والجحد:

الجحد مختصّ بالماضي، والنّفي عامّ يشمل الماضي والحاضر، والجحد يقال فيما ينكر باللّسان دون القلب، والنّفي يقال فيهما، والنّافي إذا كان كلامه صادقا يسمّى كلامه نفيا، ولا يسمّى جحدا، قال تعالى: ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ (الأحزاب/ 40) فهذا نفي، وإن كان كاذبا يسمّى جحدا ونفيا كما في قوله تعالى: وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ (النمل/ 14)[1].

أسباب كفران النعم وجحودها:

قال الإمام الغزاليّ- رحمه الله تعالى- لم يقصّر بالخلق عن شكر النّعم إلّا الجهل والغفلة، فإنّهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النّعم، ولا يتصوّر شكر النّعمة إلّا بعد معرفة كونها نعمة.

أمّا الغفلة عن النّعم فلها أسباب، وأحد أسبابها أنّ النّاس بجهلهم لا يعدّون ما يعمّ الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة، فلذلك لا يشكرون على ما عمّ الله به الخلق من شتّى النّعم في الكون والنّفس كالشّمس والقمر واللّيل والنّهار.

والنّعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحّة بصره إلّا أن تعمى عيناه فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحسّ به وشكره وعدّه نعمة، وهذا الجاهل الّذي لم يقدّر نعمة الله عليه مثل العبد السّوء[2].

الجحود بآيات الله:

لقد نعى القرآن الكريم على المشركين وأهل الكتاب جحودهم بآيات الله رغم معرفتهم بها، وشدّد النّكير عليهم فوسمهم بالظّلم، في قوله سبحانه ﴿وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾[3]، وقد كان هذا الجحود سببا للعنة قوم عاد وإبعادهم ﴿وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ

---

[1]:التوقيف (2) ، والتعريفات (77) ، والكليات للكفوي (160) .نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (9 / 4327

315:نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (9 / 4328

[3]:(الأنعام/ 33)

عَنِيدٍ* وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [1] ، وقد وصف القرآن الكريم من يجحد بآيات الله بالكفر حينا وبالظّلم حينا فقال- عزّ من قائل-: ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ﴾[2].

إنّ الجاحد بآيات الله لن يغني عنه سمعه ولا بصره، ولا فؤاده، وكأنّه حرم نفسه من نعمة الله الّتي أنعم الله بها عليه، يقول سبحانه:﴿ وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللَّهِ﴾[3]

والنّتيجة الحتميّة للجحود هي الخلود في النّار وفوق ذلك فإنّهم أعداء الله فاستحقّوا بذلك الوعيد الشّديد﴿ ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾[4].للاستزادة: نكران الجميل- اتباع الهوى- الإصرار على الذنب- الضلال- الغرور- الكفر- التفريط والإفراط- عقوق الوالدين- قطيعة الرحم- الجفاء.[5]

وفي ضد ذلك: الاعتراف بالفضل- الإيمان- الشكر- الثناء- الإحسان- المروءة- بر الوالدين- صلة الرحم] .

وعليه -من خلال العرض السابق- يتبين أن القلوب في القرآن الكريم أربعة؛ لأن الرابع- وهو القلب المختوم عليه- مذكور في آيات كثيرة، كما تقدم قريبا. وقد بينت السنة المطهرة فيما صح عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أن القلوب أربعة كما ورد في القرآن.

غير أننا نعود فنقول: هذه هي أنواع القلوب في القرآن الكريم، وهي أربعة، ثلاثة منها في وصف قلوب المنافقين والكفار، وواحد منها في وصف قلوب المؤمنين، وعلينا أن نبحث عن قلوبنا نحن، كل واحد منا يبحث عن قلبه، وهو أدرى بقلبه وما ينطوي عليه من الخير أو الشر، ويحاول أن يجد له موقعا بين هذه الأقسام، ويسأل نفسه ويستفتي قلبه هل هو: مطمئن خاشع مخبت لين للحق مقبل عليه راض به، أم أن به مرضا ما، أم أنه قاس ميت منصرف عن الحق، هذا هو المهم في الأمر كله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىَ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ

---

[1]:(هود/ 59- 60)

[2]:(العنكبوت/ 47)

[3]:(الأحقاف/ 26) .

[4]:(فصلت/ 28)

[5]:انتهى بتصرف من إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 123- 126)

فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ* فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىَ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَىَ مَآ أَسَرُّواْ فِيَ أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾[1] و قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَآ آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2]

بيان السنة المطهرة:

وقد بينت السنة النبوية المطهرة أنواع القلوب ببيانين: الأول مجمل، والثاني مفصل. أما البيان المجمل: فقد جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- القلوب قلبين: عَنْ حُذَيْفَةَ-رضي الله عنه- قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ-رضي الله عنه-، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا[3]، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا[4] نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ

---

1 :المائدة - الآيتان:51-52

2 :[البقرة - الآية: 118.

3 - قال الإمام النووي: "عوداً عوداً" هذان الحرفان مما اختلف في ضبطه على ثلاثة أوجه: أظهرها وأشهرها بضم العين والدال المهملة، والثاني بفتح العين وبالدال المهملة أيضاً، والثالث بفتح العين وبالذال المعجمة، قال: - ومعنى "تعرض" أنها تلصق بعرض القلوب، أي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به. قال: ومعنى "عوداً عوداً"، أي تعاد وتكرر شيئاً بعد شيء، وقال الأستاذ أبو عبد الله ابن سليمان: معناه: تظهر على القلوب. أي تظهر لها فتنة بعد أخرى. وقوله: "كالحصير" أي كما ينسج الحصير عوداً عوداً وشظية بعد أخرى. قال القاضي: وعلى هذا يترجح رواية ضم العين؛ وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عوداً أخذ آخر ونسجه، فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد. شرح صحيح مسلم (171/2-172)، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (453/1).

4 - "أشربها" أي دخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها وحلت منه محل الشراب.

الصَّفَا[1]، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ: أَسْوَدُ مُرْبَادًّا[2] كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا[3]، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)[4].

قال ابن القيم رحمه الله: "فشبه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً كعرض عيدان الحصير، وهي طاقاتها شيئاً فشيئاً، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين: قلب إذا عرضت عليه فتنة أُشربها، كما يشرب السفنج الماء فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسودّ وينتكس، وهو معنى قوله: "كالكوز مجخياً"، أي مكبوباً منكوساً، فإذا اسود وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران مترامیان به إلى الهلاك: أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً والباطل حقاً، الثاني: تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وانقياده للهوى وإتباعه له. وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردها، فازداد نوره وإشراقه وقوته"[5].

وهذا التقسيم المجمل خاص بحالات الفتن الكبرى التي تموج موج البحر، وفي هذه الحالة فإما أن يكون القلب مؤمنا، أو كافرا، وفي الحديث إشارة إلى المنزلتين اللتين بين هاتين، يفهم ذلك من قول عمر -رضي الله عنه-: (لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ. قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ

---

1 - "مثل الصفا" قال القاضي عياض: ليس تشبيهه بالصفا بيانا لبياضه لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء. انظر: إكمال المعلم (453/1).

2 - "مرباداً" قال القاضي عياض: وأصله أن لا يهمز، ويكون "مربد". والربدة: شيء من بياض يسير يخالط السواد. انظر: إكمال المعلم (454/1) ، وصحيح مسلم بشرح النووي (172/2-173).

3 - "كالكوز مجخياً" أي: مائلاً. قال القاضي عياض: قال لي ابن سراج: ليس قوله: "كالكوز مجخياً" تشبيهاً لما تقدم من سواده، بل هو وصف آخر من أوصافه بأنه قُلِب ونُكِس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة، ومثله بالكوز المجخّى وبيّنه بقوله: "لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً"، وشبه القلب الذي لا يعي الخير بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه، وقال صاحب التحرير: معنى الحديث : أن الرجل إذا اتبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام. والقلب مثل الكوز، فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك. انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (454/1) ، وشرح صحيح مسلم للنووي (173/2). والقاموس المحيط ص1638.

4 - رواه صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً (ح144).

5 - إغاثة اللهفان (11/1-12). وانظر في هذا الموضوع: مجلة جامعة أم القرى العدد 23، مرض القلوب وشفاؤها (328/10- 330).

وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ)؛ لأن مرض القلوب ينشأ أساسا من ارتكاب المعاصي والتهاون في فرائض الدين، ففتنة الرجل في أهله وجاره مرض يبدأ يسيرا، إما أن يتلافاه بالتوبة والرجوع فيكون صاحب قلب سليم، أو يتشاغل عنه فيكون صاحب قلب مريض، وإما أن يتمادى فيه فيصل بذلك إلى درجة الطبع على قلبه، فيكون صاحب قلب مختوم عليه.

الفصل الثاني:

أمراض القلوب وأثرها على الفرد والمجتمع

وفيه مباحث:

المبحث الأول: النفاق وأثره

المبحث الثاني: قساوة القلب وأثرها

المبحث الثالث: الحقد على الآخرين وأثره

المبحث الرابع: الشك والريبة وأثرهما

قد بينتُ تقسيم القلوب الواردة في القرآن الكريم في الفصل الأول وذكرت معه من أهم صفات لكل قسم من الأسماء المذكورة ثم بينت أقسام الواردة لكل قسم من أقسام القلوب. أما في هذا الفصل سأبين الأمراض التي تعرض على القلوب في الأحوال المختلفة وفيه سأركز على بيان تعريف المرض وأسباب ظهوره كما أذكر أثر هذا المرض على حياة الفرد والمجتمع من نواحي؛ العقدية والأخلاقية.

المبحث الأول: النفاق وأثره

أولا: تعريف مرض النفاق:

النفاق لغة: النّفاق اسم مأخوذ من مادّة (ن ف ق) الّتي تدلّ على الخروج، فالنّفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان، والنّفق: المسلك النّافذ الّذي يمكن الخروج منه [1] وعلى ذلك نبّه القرآن الكريم بقوله ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾[2] أي الخارجون من الشّرع. وقد جعلهم الله شرّا من الكافرين فقال إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ [3].

قال ابن منظور: نفق الفرس والدّابّة وسائر البهائم ينفق نفوقا: مات. وفي حديث ابن عبّاس: «والجزور نافقة» . أي ميّتة من نفقت الدّابّة إذا ماتت. ونفق البيع نفاقا: راج. ونفقت السّلعة تنفق نفاقا، بالفتح: غلت ورغب فيها، وأنفقها هو ونفّقها. ويقال: نافق اليربوع إذا دخل في نافقائه. وتنفّق: خرج. والنّفاق: الدّخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، مشتقّ من نافقاء اليربوع، وقد نافق منافقة ونفاقا، وهو اسم إسلاميّ لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به[4].

1- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) (5/ 454-455) ت: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م.

2- (التوبة/ 67)

3- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) (524) تحقيق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط:الأولى - 1412 هـ, و(النساء/ 145)

4- لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظورالأفريقي(10/ 359) ، مط:دار صادر بيروت لبنان ط: الأولى 1300هـ وط: الثالثة : 1414هـ وأيضا: وجمهرة اللغة:لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) (9/ 150) .ت: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ط: الأولى، 1987م

وخلاصة القول: ما قاله ابن رجب: والّذي فسّره به أهل العلم المعتبرون أنّ النّفاق في اللّغة هو من جنس الخداع والمكر، وإظهار الخير وإبطان خلافه [1]

واصطلاحا: قال الجرجانيّ: النّفاق: إظهار الإيمان باللّسان وكتمان الكفر بالقلب[2].

وعندما يعرض هذا المرض على القلب فيظهر منه أعمال غير معتادة وغير فطرية من الكفر والشرك والحسد والفساد في الأرض. وبناء على ما يظهر من القلب من الأعمال الرذيلة ينقسم مرض النفاق إلى قسمين:

أحدهما: النّفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كلّه أو بعضه. وهذا هو النّفاق الّذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ونزل القرآن بذمّ أهله وتكفيرهم، وأخبر أنّ أهله في الدّرك الأسفل من النّار.

والثّاني: النّفاق الأصغر أي نفاق العمل:وهو أن يظهر الإنسان علانية ويبطن ما يخالف ذلك[3]. وكلا القسمين يضر الفرد والمجتمع حسب دائرتهما.

والنفاق الأصغر يشمل الرياء ويطلق عليه نفاق كما في حديث حنظلة بن الربيع –رضي الله عنه– «نافق حنظلة»[4] أراد أنّه إذا كان عند النّبيّ صلى الله عليه وسلّم أخلص وزهد في الدّنيا، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها، فكأنّه نوع من الظّاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه.

1- جامع العلوم والحكم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السّلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) (375) ت: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ط: السابعة، 1422هـ - 2001م

2- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) (245) .ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر,الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط: الأولى 1403هـ -1983م.

3- تفسير ابن رجب الحنبلي 1 / 211 وجامع العلوم والحكم (375) .

4- صحيح مسلم حديث رقم (2750)، كتاب التوبة، باب: بَابُ فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالِاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا

وفيه: «أكثر منافقي هذه الأمّة قرّاؤها»[1] أراد بالنّفاق ها هنا الرّياء لأنّ كليهما إظهار غير ما في الباطن [2].

ويتضح من الحديث أن الرّياء عمل يظهر بسبب النّفاق العمليّ ويؤيد هذا الرأي قولين :من قول ابن رجب وقول ابن حجر عليهما رحمة الله:

فالرّياء كما عرّفه ابن حجر: إظهار العبادة لقصد رؤية النّاس لها فيحمدوا صاحبها.

فالمقصود في الرّياء والنّفاق واحد، هو إظهار غير ما في السّرائر.

وقال ابن حجر: الرّياء هو مشتقّ من الرّئية. والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية النّاس لها فيحمدوا صاحبها.

ومن أعظم مظاهر النّفاق العمليّ، أن يعمل الإنسان عملا ويظهر أنّه قصد به الخير، وإنّما عمله ليتوصّل به إلى غرض له سيّء فيتمّ له ذلك ويتوصّل بهذه الخديعة إلى غرض ويفرح بمكره وخداعه وحمد النّاس له على ما أظهره ويتوصّل به إلى غرضه السّيّء الّذي أبطنه[3].

مرض النّفاق إن كان عقديّا فهو كفر صراح، بل هو أشدّ منه، ولذلك جعلت للمنافقين درجة في جهنّم لايصلاها سواهم لعظم ضررهم، وشدّة خطرهم يقول الله تعالى إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ[4]وقد فضحهم الله تعالى في القرآن الكريم في أكثر موضع، ووصفهم بأنّهم كذّابون يصدّون عن سبيل الله وأنّهم يستكبرون، كما وصفهم بأنّهم لا يفقهون شيئا ولا يعلمون ([5])

1- مسند أحمد، رقم الحديث: 17411 ، حكم علي هذا الحديث: وحسن إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، وصححه أحمد شاكر، والألباني، وشعيب الأرنؤوط بمجموع طرقه.

2- النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، (5/ 98) (5/ 98)الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي

3- تفسير ابن رجب الحنبلي (1 / 529): جامع العلوم والحكم (378) .

4- (النساء/ 145)

وقد جعل الإمام ابن حجر هذا النّوع من النّفاق من كبائر الباطن ومن أمراض القلوب فقال- رحمه الله-: «ومن الأمراض الّتي تعتور القلب وتعتريه الكفر والنّفاق والكبر والفخر والخيلاء والحسد والغلّ... »(1) .

أمّا إذا كان النّفاق عمليّا بمعنى أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن فهذا ينطبق عليه حكم الرّياء، والرّياء من الكبائر أيضا، وقد اتّفق على ذلك الإمامان: الذّهبيّ وابن حجر ذاكري الأدلّة على ذلك الموقف في كتابيهما. (2)

وعلى صاحب القلب السليم أن يعترض عن المبتلين في مرض النفاق بدليل قوله تعالى: فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ (3)ولا يقرب إليهم إلا للدعوة إلى التوحيد والإخلاص.

وإذا لم يعودوا ويرجعوا إلى الفطرة والسلامة ولم ينتهوا من أعمالهم الرذيلة فيستلزم عدم التّعامل أو التّعاون معهم وذلك لنجاسة معتقداتهم وسوء مقاصدهم، وذكر في موضع آخر أنّ على معشر المسلمين مجاهدة بهؤلاء والغلظة عليهم وعلى الكافرين مستدلّا بقوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ. (4)

الأحاديث الواردة في ذمّ (النفاق)

علامات مرض النفاق: بينت الأحاديث عديد ا من آيات النفاق.

1-* (عن أنس- رضي الله عنه- عن النّبيّ صلى الله عليه وسلّم قال: «آية الإيمان حبّ الأنصار، وآية النّفاق بغض الأنصار») 5

أنه يتصف بصفات الرذيلة مثل كذب وخلاف الوعد والخيانة كما روي عن أبي هريرة- رضي الله عنه-: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا

1- الزواجر عن اقتراف الكبائر للشيخ أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ) ص99 الناشر: دار الفكر ط: الأولى، 1407هـ - 1987م

2- الكبائر للذهبي أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ) (143- 146) الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م,والزواجر لابن حجر (49 64) . (التوبة/ 95)

3- شجرة المعارف (95) .

4- المرجع السابق (270) . (التوبة/ 73)

5 صحيح البخاري (21/1).

وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»)[1] . وعلى تلك الصفات يترتب أنه لا يعتمد عليه الناس في أي شيء ولا يثقونه في المعاملات وفي مجتمع سليم لا يستطيع أمثال هؤلاء العيش إلا بالتحقير والتنكير وإلا هم يتأثرون بكذبهم على المحكمة بشهادتهم الباطلة ويخادون الناس بوعدهم ولا يكملون ويثقون وعدهم ألبتة وبخيانتهم يضيعون أموال الناس وخاصة اليتامى.

3-المنافقون لا يدخلون الجنة (عن قيس قال: قلت لعمّار: أرأيتم صنيعكم هذا الّذي صنعتم في أمر عليّ. أرأيا رأيتموه أو شيئا عهده إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلّم شيئا لم يعهده إلى النّاس كافّة. ولكن حذيفة أخبرني عن النّبيّ صلى الله عليه وسلّم: «في أصحابي اثنا عشر منافقا . فيهم ثمانية لا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط[2] . ثمانية منهم تكفيكهم الدّبيلة[3] وأربعة. لم أحفظ ما قال شعبة فيهم»)[4]

4- الذي يكون قلبه في مرض النفاق فهو لا يكتفي بعدم الانفاق في سبيل الله بل هو يحتقر من ينفق في سبيل الله ويمنعهم بطرق مختلفة كما جاء حكاية المنافقين في ذلك في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التوبة: 79] أن المنافقين كانوا يحقرون من ينفق ويؤتي ماله في سبيل الله ورسوله، ومن سبب نزول هذه الآية يتضح الأمر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حثّ أصحابه على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف فجئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله، فأمسكت أربعة آلاف لعيالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت». فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى مات وعنده امرأتين يوم مات فبلغ ثمن مالهما مائة وستون ألف درهم لكل واحدة منهما ثمانون ألفا، وتصدّق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وستين وسقا من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاري- واسمه الحباب- بصاع من تمر وقال: يا رسول الله بت ليلتي أجرّ بالجرير أحبلا حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لأهلي وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن ينثره في الصدقات، فلمزهم المنافقون، وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلّا رياء، ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع أبي عقيل، ولكنه أحبّ أن يزكي نفسه ليعطي الصدقة فأنزل الله عزّ وجلّ: الَّذِينَ يَلْمِزُونَ أي يعيبون ويغتابون الْمُطَّوِّعِينَ المتبرعين مِنَ

---

[1] صحيح البخاري 37/1).

[2] سم الخياط: سم بفتح السين وضمها وكسرها، والفتح أشهر وهو ثقب الإبرة. ومعناه: لا يدخلون الجنة أبدا.

[3] الدبيلة: سراج من نار

[4] مسلم (2779) .نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (11 / 5614):

الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقاتِ.[1] يتضح من هذا الحديث المذكور أن مرض النفاق يولد به مرض آخر وهو بخل ولا يقتصر صاحب مرض النفاق على البخل وبهذا الطريق يزيد الفقر في المجتمع ولا يسد حاجات المحتاجين.

والمنافق لا يكتفي بالبخل بل يمنع الآخرين عن الخير وعن الإنفاق في سبيل الله وهو لا يريد الخير لنفسه ولا يريد للآخرين كما كان حال مريض النفاق الكبير عبدالله ابن أبي ولأصحابه الذين كانوا يحلفون بالله على ما منعوا الناس من الإنفاق على الفقراء من حول النبي -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[2] ، وعن زيد بن أرقم- رضي الله عنه- أنّه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم في سفر، أصاب النّاس فيه شدّة. فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتّى ينفضّوا من حوله. قال زهير: وهي قراءة من خفض حوله. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. قال: فأتيت النّبيّ صلى الله عليه وسلّم. فأخبرته بذلك. فأرسل إلى عبد الله بن أبيّ فسأله فاجتهد يمينه ما فعل. فقال: كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلّم. قال: فوقع في نفسي ممّا قالوه شدّة. حتّى أنزل الله تصديقي: إذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ.....[3]الخ[4]

عن أبي سعيد الخدريّ- رضي الله عنه-: أنّ رجالا من المنافقين، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم كانوا إذا خرج النّبيّ صلى الله عليه وسلّم إلى الغزو تخلّفوا عنه. وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلّم. فإذا قدم النّبيّ صلى الله عليه وسلّم اعتذروا إليه. وحلفوا وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا. فنزلت: لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ[5] ..[6] *

---

[1] تفسير الطبري: 10/ 251، وفتح الباري: 2508، وأسباب النزول للواحدي: 172- 173

[2] [المنافقون: 1، 2]

[3] (المنافقون/ 1)

[4] صحيح مسلم (484/1).

[5] (آل عمران: 188)

[6] صحيح البخاري- رقم الحديث (4567) ، وصحيح مسلم 4 رقم الحديث (2777) واللفظ له.» وأيضا: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (11 / 5615)

الذي يعارضه مرض النفاق فهو يمشي خلف الفتنة والفساد ولا ينظر علام يتّهم ويكذب ولا ينظر منزلة الصاحب ومكانته لأن عقله وقلبه وعيونه مغطية فلا يفهم ولا يعقل ولا ينظر ولا يفقه كما بينه القرآن { لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[1] حتى وهذا المرض يجرء صاحبه أن يقام أمام النبيﷺ ويخاصمه ويتكلمه فلا يلاحظ ولا يهتم من آداب حضرته عليه السلام ويتهمون النبيﷺ بأنه لا يعدل في تقسيم الأموال ولا يتقي الله فيه كما روي عن أبي سعيد الخدريّ- رضي الله عنه- قال: بعث عليّ بن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ»، لم تحصّل من ترابها. قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرّابع إمّا علقمة، وإمّا عامر بن الطّفيل. فقال رجل من أصحابه: كنّا نحن أحقّ بهذا من هؤلاء. فبلغ ذلك النّبيّ صلى الله عليه وسلّم فقال: «ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السّماء، يأتيني خبر السّماء صباحا ومساء» قال: فقام رجل غائر العينين. مشرف الوجنتين. ناشز الجبهة. كثّ اللّحية. محلوق الرّأس. مشمّر الإزار فقال: يا رسول الله، اتّق الله. فقال: «ويلك أو لست أحقّ أهل الأرض أن يتّقي الله» ؟ قال: ثمّ ولّى الرّجل. قال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا. لعلّه أن يكون يصلّي» . فقال خالد: وكم من مصلّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «إنّي لم أومر أن أنقب قلوب النّاس. ولا أشقّ بطونهم» قال: ثمّ نظر إليه وهو مقفّ فقال: «إنّه يخرج من ضئضىء هذا قوم يتلون كتاب الله. رطبا لا يجاوز حناجرهم. يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّميّة» وأظنّه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل ثمود»)[2] * وكذلك مظهره حادثة الإفك التي انتشر بسبب عبدالله بن أبي المنافق الكبير الذي كان من عادته أن يبحث الفتن وينشرها في المجتمع حتي يقل مكانة النبيﷺ في أعين الناس..[3]

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وسلّم: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء. ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا. لقد هممت أن آمر المؤذّن فيقيم، ثمّ آمر رجلا يؤمّ النّاس، ثمّ آخذ شعلا من نار فأحرّق على من لا يخرج إلى الصّلاة بعد)[4]

---

[1] [الأعراف: 179]

[2] صحيح البخاري- الفتح 7، رقم الحديث (4351) واللفظ له، و صحيح مسلم، رقم الحديث (1064)

[3] صحيح البخاري- الفتح 5 (2661) واللفظ له، و صحيح مسلم، رقم الحديث (2770)

[4] صحيح البخاري. الفتح 2 (657) واللفظ له، و صحيح مسلم رقم الحديث(651) .

ثانيا: أسباب ظهوره:

كما لايخفى على كل مسلم بأن مريض النفاق كافر في الباطن يستتر بالإسلام، ويظهره بالإسلام كما مر وله أسباب عديدة كما بينها القرآن الكريم في الآيات المختلفة، وهذه الأسباب ترجع معظمها إلى حب الشهوات أو تأثير الشبهات ، فشهوة حب الحياة والخوف على أنفسهم من القتل أو السبي، والخوف على المنصب والرياسة والجاه والزعامة تجعله ينافق ، وكذلك شهوة حصول الدنيا والطمع في الغنائم إذا انتصر المسلمون في حروبهم ، أما الشبهات فإن من بعض المنافقين كان أول أمره مؤمنًا لكن الإيمان لم يخالط بشاشة قلبه ، يعبد الله على شفا جرف هارٍ ، فإذا جاءت فتنة أو حلّت بالمؤمنين نكبة نافق ، ولهذا يمكن القول أن أهم أسباب ازدهار مرض النفاق من خلال آيات القرآن الكريم ما يلي:

أولاً :حب الشهوات ومنها:

أ- حب أنفسهم والخوف عليها من القتل: وهذا السبب يبدو واضحًا في مرض النفاق من نافق بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكثرة أتباعه ، وانتصاره يوم بدر ، فحينئذٍ أصبحت للمسلمين قوة تهاب فظهر النفاق ، أما في مكة فلم يكن هناك منافقون لأنهم كانوا يظهرون كفرهم ولا يخشون شيئًا فلما قوي الإسلام وأهله خافوا على أنفسهم من القتل أو الطرد أو السبي. قال تعالى : لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلا مَلْعُونِينَ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا﴾[1] قال قتادة :ذكر لنا أن المنافقين كانوا يظهرون ما في أنفسهم من النفاق فلما أوعدهم الله بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه[2]

وأن المنافقين بعد ظهور الإسلام وذل النفاق وأهله لم يستطيعوا أن يظهروا ما كانوا يظهرونه من الكفر قبل ذلك قبل بدر وبعدها ، وقبل أحد وبعدها ، فأخفوا النفاق وكتموه فلهذا لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم .

ب- حب الجاه والرياسة والزعامة والخوف من ضياعها.

قد يكون لبعض المنافقين جاه ورياسة يخاف إن أظهر كفره أن يتفرق عنه أتباعه وأعوانه فيخفيه مع إظهار الإسلام ، كما فعل عبد الله ابن أبي ابن سلول فإنه كان من الممكن أن يكون الرياسة له، ثم فجئة جاء النبيﷺ بأصحابه من المهاجرين والأنصار وأصبح سيدًا في المدينة وحاكمًا لها ، فكان تمنية

1- سورة الأحزاب: 60-61.

2- قول مقاتل ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (13 / 21) وقريب منه قوله في تفسير الطبري (22 / 48).

ابن أبي في قلبه وما تحققت فهذا ما حمله على النفاق في بداية الأمر وزاد معها أسباب أخرى وقوى نفاقه وعليه مات.

ج- حب حظوظ الدنيا والطمع في الغنائم:

إن من المنافقين من يكون سبب نفاقه حب الدنيا والطمع في الغنائم ، ولهذا كانوا يخرجون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يقاتلون ، ومنهم من لا يخرج ,وإذا رجع رسول الله جاء معتذرًا طمعًا في عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه عنه . فهم لحبهم للدنيا يؤملون الغنائم وقد ذكر الله سبحانه صفتهم المذكورة في قوله تعالى﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[1]. وقد كان هذا في غزوة تبوك لما رأى المنافقون شدة الحر وبعد المسافة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية موبخًا لهم ، مبينًا أن السفر لو كان قريبًا سهلاً ، والغنيمة قريبة المتناول حاضرة ، لخرجوا معك أما قولهم لما جاءوا يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مجرد كذب لأنهم كانوا مستطيعين .

ثانيًا: الفتن والشبهات:

إن الله -سبحانه وتعالى- يمتحن ويبلو عباده ليعرف الصادق من الكاذب ، فإذا جاءت الفتنة والامتحان من الله -سبحانه وتعالى- كانت سببًا في نفاق من كان إيمانه ضعيفًا ، ومن أمثلة ذلك حادثة تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، فقد كانت اختبارًا وابتلاء من الله ومحنة امتحن الله بها الناس ، وبعدها ارتد طائفة عن الإيمان قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[2] ، ومن هذه الفتن هزيمة المسلمين يوم أحد فإنه لما حصل ذلك ارتد طائفة ونافقوا، وأيضا منها الأوامر والنواهي كأقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وشرب الخمر ولحم الخنزير وغير ذلك.

---

[1] التوبة :42

2- سورة البقرة: 143.

ثالثا: أثر النفاق على الفرد والمجتمع:

ويترتب على مرض النفاق آثار عديدة من ناحية الفردية والإجتماعية. فالآثار الفردية هي ما يلي:

1. المنافق لا يقبل الله منه عملا صالحا كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (1)
2. الذي عارض قلبه مرض النفاق يفرح إذا أصاب المسلمين ضرّ، ويحزن إذا انتصروا، ويتربّص بهم الدّوائر. بقوله تعالى: {إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }[2]
3. **التقصير والكسل في أداء الواجبات:** مريض النفاق يكسل في أداء الواجبات التي أوجبها الله على عباده من الصلاة والزكاة والحج والجهاد وغيرها وكما نعرف أن الصلاة من أصل الدين وعمدها والمنافق لا يقيم هذا الأصل والواجب إلا بالكسل كما جاء في القرآن الكريم من علامات المنافقين في قوله تعالى: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}[3] وأيضاً قال تعالى في كسل المنافقين: { وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى}[4] وفي الحديث بين النبي أن الكسل في أداء الصلاة هو نفاق والصلاة في آواخر وقتها صلاة المنافق فقد روي عن العلاء بن عبد الرّحمن، أنّه دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة. حين انصرف من الظّهر. وداره بجنب المسجد. فلمّا دخلنا عليه قال: أصلّيتم العصر؟ فقلنا له: إنّما انصرفنا السّاعة من الظّهر. قال: فصلّوا العصر. فقمنا فصلّينا. فلمّا انصرفنا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: «تلك صلاة المنافق. يجلس يرقب الشّمس. حتّى إذا كانت بين قرني الشّيطان. قام فنقرها أربعا. لا يذكر الله فيها إلّا قليلا»)[5] ويقول عبد الله بن مسعود- رضي الله

1- النساء : 137-139

2 - [آل عمران: 120]

3 - [النساء: 142]

4 - [التوبة: 54]

5 - صحيح مسلم رقم الحديث(622) .

عنه- من سرّه أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصّلوات حيث ينادى بهنّ، فإنّ الله شرع لنبيّكم صلى الله عليه وسلّم سنن الهدى، وإنّهنّ سنن الهدى، ولو أنّكم صلّيتم في بيوتكم كما يصلّي هذا المتخلّف في بيته لتركتم سنّة نبيّكم، ولو تركتم سنّة نبيّكم لضللتم، وما من رجل يتطهّر فيحسن الطّهور ثمّ يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلّا كتب الله له بكلّ خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحطّ عنه بها سيّئة، ولقد رأيتنا وما يتخلّف عنها إلّا منافق، معلوم النّفاق. [1]

4. **يحرم من الصلاة عليه بعد الموت**: عندما يموت صاحب مرض النفاق لا يصلي عليه المسلمون ولا يقومون على قبره لدعاء الاستغفار له لقوله تعالى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ﴾[2] ومن عمل النبى أنه صلى على عبدالله بن أبي لكن منعه الله بعدئذ كما روي عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: لما توفّي عبد الله بن أبيّ ابن سلول، جاء ابنه، عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم. فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه. فأعطاه. ثمّ سأله أن يصلّي عليه. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلّم ليصلّي عليه. فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلّم. فقال: يا رسول الله، أتصلّي عليه وقد نهاك الله أن تصلّي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «إنّما خيّرني الله فقال: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً [3]. وسأزيده على سبعين» قال: إنّه منافق. فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم. فأنزل الله عزّ وجلّ: وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ (التوبة/ 84) ») [4]

5. **الخزي في الدارين**: النّفاق والرّياء يوردان أصحابهما المهالك في الدّنيا وغضب الله وأليم عقابه في الآخرة. لقوله تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[5] وبقوله تعالى:

---

1 - صحيح مسلم ، رقم الحديث (654)

2 - (التوبة/ 84)

3 - (التوبة/ 80)

4 - صحيح البخاري- الفتح 8 ، رقم الحديث(4672) ، و صحيح مسلم ، رقم الحديث(2774) واللفظ له.»

5 - [المائدة: 33]

{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ}[1]

6. **حبوط الأعمال وضياعها**: وهو محبط للأعمال مهما كثرت بقوله تعالى: {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[2]

آثار مرض النفاق على المجتمع: الآثار المترتبة على مرض النفاق بين أفراد المجتمع أنه يضر بأفراد المجتمع، وأنه يُورِث العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، كما يُثير فيهم صفات الحقد والغل؛ لأن النفاق لا يكون واضحًا لأفراد المجتمع؛ لأنه يُظهِر من الأقوال والأعمال والصفات ما يكون مُضمِرًا غيرها في نفسه، فلا يكون واضحًا، وبذلك يكون ضرره أشدّ وأبلَغ في الإيذاء . ومن أهم آثاره ما يلي:

1. **النفاق يؤدي إلى منع الخير العام**: من أثر النفاق على المجتمع أنه يمنع عن الخير ويبخل المنافق فلا يصل المال إلى الفقراء والمساكين ولا يستفيد المحتاجون من أموال الأمراء لأن المنافقين يصدون الناس عن الإنفاق والمنافقون بخلاء،وإذا ينفقون فينفقون للرياء لا لله، فلا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بقوله تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ [3]وبقوله تعالى: الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79) }[4]
2. **مرض النفاق يؤدي إلى الفساد في المجتمع**: المنافقون في كلّ مكان وزمان إخوة للكافرين والمشركين والملحدين يشدّ بعضهم أزر بعضهم ويقومون ضد المسلمين ويحاربون، فهذا يؤدي إلى الفساد في الأرض حيث أنهما يحاربان مع أهل الصلاح في كل مكان وزمان وهم لا يعلمون ولا يدركون؛ حيث جاء في القرآن الكريم: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}[5]
3. **مرض النفاق يؤدي إلى تعطيل أوامر الخليفة**: المنافقون يلتمسون أدنى الأعذار للقعود عن الجهاد ولا يقيمون بأمر الخليفة في الجهاد ولكن يقعدون مع النساء

---

1 - [التوبة: 63]

2 - [البقرة: 217]

3 - (التوبة: 76)

4 - [التوبة: 79]

5 - [البقرة: 12]

والأطفال وهذا يؤدي إلى ضعف مجتمع المسلم ضد أعداء المشركين؛ كما جاء في القرآن الكريم: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ }[1] وبعد رجوع المسلمين من الجهاد هم يعتذرون {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }[2]

4. **مرض النفاق يؤدي إلى ترك التحاكم إلى الله ورسوله والمسلمين:** إن المنافقين لا يرضون بما يحكم الله ورسوله فيهم ولا يرضون ما يحكم المسلمين فيهم فهذا يؤدي إلى تشتيت مجتمع المسلم وتفريقه ويؤثر العمل المذكور على المجتمع سلبيا قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾[3]. ومن ذلك قول المنافقين عند تقسيم المال يارسول الله اتق الله..الخ[4]

---

1 - [التوبة: 87]

2 - [التوبة: 94]

3 - (النساء:60-63)

4 - صحيح البخاري حديث رقم: 4351، كتاب المغازي باب: بَعْثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى اليَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ.

المبحث الثاني: قساوة القلب وأثرها

من المعلوم بأني قد بينت تعريف القسوة في ذكر القلب القاسي الميت بالتفصيل وسبقت تعريفات القسوة.

أسباب قسوة القلب

يظهر مرض قسوة القلب لأسباب كثيرة ومتعددة وبعضها أكثر خطورة من الآخر ، وتزداد القسوة كلما تعددت الأسبابومن أهم هذه الأسباب ما يلي :

1. **إكثار الكلام بغير ذكر الله** (سبحانه وتعالى)، لأن القلوب تطمئن وتلين بذكر الله كما في قوله تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[1] وإذا فقد الذكر يقسو ويشدد القلب ويقع في الويل كما في قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[2] وفي الحديث صرح هذا الأمر كما روي عن بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله عز وجل فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله عز وجل قسوة القلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسي[3]
2. **فعل المعاصي** ، فإن المعاصي تؤثر في القلوب وتمرضها ، قال تعالى { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون }[4] . وقد ورد في الحديث إذا أذنب العبد نكت في قبه نكتة سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه [5] .

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي: الذنوب تورث قساوة القلب، وتمنع قيام الليل وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات" (6)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَلكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (43) [7]

---

1 - [الرعد: 28]

2 - [الزمر: 22]

3 رواه البيهقي في شعب الإيمان ج4/ص245 4951.

4 - سورة المطففين:14.

5 - المستدرك علي الصحيحن للحاكم (45/1) ، مسند أحمد (333/13).

6 - سورة العنكبوت: 45.

7 - الأنعام: 42- 43 مكية

3. **استماع مالا يجوز استماعه من الكلام المحرم** ، وعلى رأسها الغناء الموسيقى ، وهي صوت الشيطان وأداته لجذب جنوده ، قال تعالى { واستفززمن استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا }[1]

4. **النظر إلى المحرم** ، وقال تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفضوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾[2] . وقالﷺ: النظرة سهم مسموم من سهام إبليس [3] .

5. أكل الحرام: وكل ما حرم الله سبحانه وتعالى فهو سبب لظهور مرض القسوة ومنها أكل الحرام ، فإن المطعم الخبيث يغذي تغذية خبيثة.

6. الإكثار من المباحات: والإمام ابن القيم جعل كثرة الأكل والنوم والكلام والمخالطة من أهم أسباب هذا المرض بقوله: "وقسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة. (4)

7. **الإعراض عن قبول الحق بعد معرفته** له قال تعالى { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين }[5] . وقال { ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون }[6].

8. **الإفراط في الممازحة** ، أخرج الترمذي من حديث بن عباس رفعه لا تمار أخاك ولا تمازحه[7] الحديث والجمع بينهما أن المزاح المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين ويؤدي إلى قسوة القلب

---

1 – سورة الإسراء:64.

2 – سورة النور:30.

3 – مسند شهاب القضاعي للشيخ أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: 454هـ)حديث رقم: 292 , الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت– ط: 1407.

4 – الفوائد للشيخ ابن القيم :221

5 – سورة الصف :5.

6 – سورة التوبة:127.

7 – سنن الترمذي: حديث رقم 1995، كتاب: أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في المراء

والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار والذي يسلم من ذلك هو المباح فإن صادف مصلحة مثل تطيب نفس المخاطب وموانسته فهو مستحب.[1]

9. **كثرة الاهتمام بالأهل والأولاد:** من أسباب، ولهذا قال بعض الصحابة للنبي عليه الصلاة والسلام: (إننا إذا كنا عندك فإننا نخشع حتى كأننا نشاهد الجنة والنار، وإذا ذهبنا فعافسنا الأهل والأولاد نسينا، قال: ساعة وساعة) . (2)

10. **نقض الميثاق والعهود:** من أسباب قسوة القلوب نقض المواثيق والعهود والله – سبحانه وتعالى- منع عن نقض المواثيق وبين أنه من سبب اللعنة وقسوة القلب وقال تعالى:: ﴿فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13)﴾ [3]ويقول ابن رجب الحنبلي تحت تفسير هذه الآية: وبيَّنَ في موضع آخرَ سببَ قسوةِ قلوبِهم، فقال: سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[4] ، فأخبرَ أنَّ قسوةَ قلوبِهم كانَ عقوبةً لهُم على نقضِهم مواثيقَ اللهِ وعهودِهِ أنْ لا تفعلُوا ذلك. [5]

11. **الكبر والتكذيببالجزاء:** من أسباب ظهور مرض القسوة كما كان حال فرعون الذي كبر وكذب موسى عليه السلام، ومن هذين العملين عاذ موسي عليه السلام لأنهما سببان للجرأة على الله وعباده قال تعالى: ﴿وَقالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ﴾[6] يقول الزمخشري تحت هذه الآية: الاستكبار عن الإذعان للحق، وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه، وعلى فرط ظلمه وعسفه، وقال لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر

---

(1) عون المعبود في شرح سنن أبي داؤد لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ) ج13/ص234الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الثانية، 1415هـ.

2- صحيح مسلم حديث رقم (2750)، كتاب التوبة، باب: بَابُ فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالِاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا

3 – المائدة: 12- 13

4 – سورة المائدة:13.

5 – تفسير ابن رجب الحنبلي (1 / 419)

6 – [غافر: آية 27]

والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة، فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده، ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها. [1]

12. **عدم الإيمان بالبعث**: وأيضا نقص في الإيمان بالبعث بعد الموت وهو سبب عظيم من أسباب ظهور مرض القسوة على القلوب كما نقل ابن جرير الطبري قولا عن قتادة في قوله ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ قال: من بعد ما أراهم الله من إحياء الموتى، ومن بعد ما أراهم من أمر القتيل.[2]. عندما شاهدوا منظر عجيب وهو إحياء الموتى في امر القتيل رغم ذلك أنكروا ووقعوا في الكفر والجحد وأنكروا **بالبعث** فلذا قست قلوب بني اسرائيل وهي زادت في مرض القسوة وأصبحت كالحجارة وأشد منها. وبعد ما سرد القرآن قصص الأمم الماضية الهالكة وأماكنها الهادمة الدامرة التي يمر بها أهل مكة في رحلتهم الصيف إلى الشام وقد أهلكها الله بمطر بركاني من الأبخرة والحجارة فدمرها تدميرا ورغم ذلك لا يؤمن أهل مكة على البعث بسبب مرض قلوبهم و السيد قطب في تفسيره يبين هذا المرض تحت تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾[3] أن قلوبهم لا تعتبر ولا تتأثر لأنهم لا ينتظرون البعث، ولا يرجون لقاء الله. فذلك سبب قساوة تلك القلوب. [4]

ثالثا: آثار قسوة القلب

آثار على الفرد:

1. **أثره: ذهاب اللين والرحمة** : يخرج صاحب قلب القاسي عن وصف الإنسان لأنه يصبح خاليا عن صفات العالية التي بسببها يسمى الإنسان إنسانا ويفرق به عن بقية مخلوقات من النبات والحيوانات وهو الرأفة والرحمة واللين في لهجته وفي لقائه مع أهله وأصدقائه وفي معاملاته ويقول أبو إسحاق- رحمه الله- في قوله تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ

---

1 - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للشيخ أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) 4 / 161)الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ط:الثالثة - 1407هـ.

2- الدر المنثورعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) (1/ 197) الناشر: دار الفكر - بيروت .

3 - سورة الفرقان :40.

4 - ظلال القرآن سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)(5 / 2564)الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة ط:السابعة عشر - 1412 هـ

مِنْ بَعْدِ ذلِكَ تأويل قست في اللّغة غلظت ويبست وعست. فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللّين والرّحمة والخشوع منه) [1]

2. **قسوة القلب ينزل صاحبه عن منزلة الأحجار**: جاء في القرآن الكريم أن هناك من الأحجار التي تلين وتخرج منه الماء ولكن الذين قست قلوبهم هم أنزلوا منزلة الحجارة وقلّ درجتهم عنها وفي الحديث روي عن عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ ... الآية، أي إنّ من الحجارة لألين من قلوبكم، لما تدعون إليه منالحقّ) [2]» .

3. **علامة الشقاء** ، فلا يهدي بالقرآن وهو شفاء للقلوب، فهذا أسوأ حال كما في قوله تعالى {فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ} يتوعد الله تعالى بالعذاب أصحاب القلوب القاسية من سماع القرآن ويقول الجزائري في أيسر التفاسير: وهذه أسوأ حال العبد إذا كان يهلك بالدواء ويضل بالهدى فسماع القرآن الأصل فيه أن يلين القلوب الصالحة للحياة فإذا كانت القلوب ميتة غير قابلة للحياة سماع القرآن زادها موتاً وقسوة، ويدل على هذا قوله ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[3] فهدايتهم متعذرة إذا كان الدواء يزيد في علتهم وآيات الهداية تزيد في ضلالتهم. [4]وفي الحديث صرح أن القسوة من أسباب الشقاء، فروي عن أنس رفعه أربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا.[5]

4. **يكون صاحبه أحط من البهائم** ، ويكون مآله إلى جهنم ، قال تعالى { ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون }[6] .

---

1 - لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظورالأفريقي(15/ 181) مط:دار صادر بيروت لبنان ط: الأولى 1300هـ وط: الثالثة : 1414هـ.

2 - الدر المنثور للسيوطى (1/ 197)

3 - سورة الزمر:22

4 - أيسر التفاسير للجزائري للشيخ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري(4 / 480): الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط: الخامسة، 1424هـ/2003م

(5) فتح الباري للشيخ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي237/11. الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379

6 - سورة الأعراف :179.

5. **اتباع الفتن** التي يلقي الشيطان في قلوبهم كما قال تعالى: لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ (53) [1]

6. **يعتاد على الصفات المذمومة**:وقال ابن قيم الجوزية: "إن الذنوب والمعاصي تضر، وضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟ وقال: إن الذنب إما أن يميت القلب أو يمرضه مرضًا مخوفًا أو يضعفه قوته، ولا بد حتى ينتهي ضعفه إلى الأشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم وهي : (الهموالحزن والجبن والكسل والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال) [2]. وإذا ظهرت من الرجل هذه الصفات المذمومة فلا يقربه الناس إلا أمثاله.

7. **لايقبل النصيحة والذكرى**: (قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ أي هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحقّ؛ لقوله- عزّ وجلّ- أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها ولهذا قال تعالى: فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أي فلا تلين عند ذكره، ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) [3]

8. **الافتراء على الله**: قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-: «إنّ بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند أنفسهم استهوته قلوبهم، واستحلته ألسنتهم واستلذّته- وكان الحقّ يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم- فقالوا: تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابعنا عليه تركناه، ومن كره أن يتابعنا قتلناه. ففعلوا ذلك، ... الحديث) [4].

9. **بالقسوة تزيل النّعم وتحلّ النّقم** كما كان حال بني إسرائيل الذين قست قلوبهم فزالت وانتهت النعم العديدة التي أنعم الله عليهم قال تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا

---

1 - الحج: 52- 53

2 - هذه الكلمات وردت في الأدعية المأثورة من النبي صلى الله عليه وسلم.

3 - تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: 774هـ) (4/ 51) ت:سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ط: الثانية 1420هـ - 1999 م.

4 - تفسير ابن كثير: (8/ 53)

نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}[1] ووقع علامَ قست قلوبهم النّقم والشدائد والعذاب بغتة حتى أغرق فرعون ومن معه في البحر كما في قوله تعالى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ}[2]

10. **البعد من الله** ومن رحمته الواسعة، عن عبد الله بن دينار عن بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله عز وجل فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله عز وجل قسوة القلب وان أبعد الناس من الله القلب القاسي[3].

11. **ويل والعذاب على مريض القسوة:** ذم الله لأصحاب القلوب القاسية المنافية للخشوع فى غير موضع فقال تعالى: {ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة}[4]. قال تعالى {فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله}[5].

آثاره على المجتمع:

1. **من آثار المرض القسوة التفرق والتشتيت بين الناس:** لأن غلظ القلب وقسوته مع المسلمين يؤدّي إلى تفرّق كلمتهم وطمع العدوّ فيهمو، وإذا يكون الخليفة غليظ القلب فلا يجمع القوم تحت رايته وعلمه أبدا كما قال تعالى في القران الكريم: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [6]والنبيﷺ هو رحمة للعالمين هو معلم الناس جميعا بين وعلّم الناس بعمله أن لا يخرج الإنسان من اللين والرحمة مهما كان شدة الأمر، وذلك في غزوة أحد عندما أخل بعض الصحابة من أماكنهم فلا يلامهم النبيﷺ بل عاملهم بمعاملة حسنة كما بينه ابن عطية تحت هذه الآيه بقوله: ومعنى الآية:التقريع لجميع من أخل يوم- أحد- بمركزه، أي كانوا يستحقون الملام منك، وأن لا تلين لهم، ولكن رحم الله جميعكم، أنت يا محمد بأن جعلك الله على خلق عظيم، وبعثك لتتمم محاسن الأخلاق، وهم بأن لينك لهم وجعلت بهذه الصفات لما علم تعالى في ذلك من صلاحهم وأنك لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ

---

1 - [البقرة: 47]

2 - [الزخرف: 54 - 56].

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان ج4/ص245 4951

4 - البقرة:74

5 - الزمر:22

6 - [آل عمران: 159]

الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، وتفرقوا عنك، والفظ: الجافي في منطقه ومقاطعه، وفي صفة النبي عليه السلام في الكتب المنزلة: ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق[1]والناس ينفرون من صاحب مرض القسوة ويفرون منه كما قال ابن عطية: الفظاظة والغلظة تؤدّيان– خاصّة في مجال الدّعوة إلى الله– إلى انصراف النّاس عن الدّاعية، ونفورهم منه.[2]وعلى الداعي ألا يكون شديدا مهما كان موقف الناس شديدا.

2. **القسوة يؤدي إلى تحريف الكلم عن مواضعه**: وذلك من سوء الفهم وسوء القصد وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب، وهذا كان عمل الأمم الماضية التي قست قلوبهم، وبه يضل صاحب مرض القسوة ويضل من حوله من الجهلاء الذين يزعمونه عالما بصحبته محض. كما كان العلماء والقرّاء من أهل الكتاب كانوا يحرفون في تعليمات كتبهم ويأخذون الرشوة في أحكامهم ويحرّفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتبا ويقولون: هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم، وهي المآكل التي كانوا يصيبونها منهم على تكذيبهم محمد صلى الله عليه وسلّم ولو آمنوا به لذهبت عنهم تلك المآكل وَيَصُدُّونَ ويصرفون الناس ويمنعونهم عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ دين الله. [3]فهم أي العلماء والقرّاء من أهل الكتاب الذين قست قلوبهم ضلّوا وأضلوا الناس عن دين الله القيم وسبيله الصراط وهداه. وقال تعالى: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّروا بِهِ)يقول ابن رجب الحنبلي: أنَّ قسوةَ قلوبِهم أوجبتْ لهم خصلتينِ مذمومتينِ: إحداهما: تحريف الكلم من بعدِ مواضِعِهِ[4]وهذا الأمر موجود في علمائنا لمشابهتهم بأهل الكتاب ويقول ابن رجب الحنبلي عن وجود هذا العمل في علمائنا وكبارنا من الفقهاء والمتصوفين والمتكلمين في تفسيره: فإنَّ من تفقَّه لغير العملِ يقسُو قلبُه فلا يشتغلُ بالعملِ، بل بتحريفِ الكلم، وصرفِ ألفاظِ الكتابِ والسنةِ عن مواضِعِها. والتلطفِ في ذلكَ بأنواعِ الحيلِ اللطيفةِ، من حمْلِهَا على مجازاتِ اللغةِ المستبعدَةِ ونحوِ ذلك، والطعنُ في ألفاظِ السنن حيثُ لم يمكنْهم الطعنُ في ألفاظِ الكتابِ، ويذمُّونَ من تمسَّكَ بالنصوصِ وأجْرَاها على ما يُفهمُ منها ويسمونه جاهلاً أو حسودًا.

---

1 – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) 1 / 533 ت: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى - 1422 هـ

2 – تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1 / 533):

3 – انظر: تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن5 / 37)

4 – تفسير ابن رجب الحنبلي (1 / 419):.

وهذا يوجدُ في المتكلمينَ في أصولِ الدياناتِ، وفي فقهاءِ الرأي، وفي صوفيةِ الفلاسفةِ والمتكلمينَ.

3. **عدم قيام بالدعوة إلى التوحيد:** نسيانُهم حظا ممَّا ذكِّرُوا به: والمرادُ تركُهم وإهمالُهم نصيبًا ممَّا ذُكِّرُوا به من الحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، فنسوا ذلكَ وتركُوا العملَ به وأهملوه. نسيانُ حظ مما ذُكِّرُوا به من العلم النافع فلا تتعظُ به قلوبُهم، بل يذمُّون من تعلَّمَ ما يُبكيه ويرِّقُ به قلبُه ويسمونَهُ قاصا. ونقلَ أهلُ الرأي في كتبِهم عن بعضِ شيوخِهم أنَّ ثمراتِ العلومِ تدلُّ على شرفِهَا، فمن اشتغلَ بالتفسيرِ فغايتُه أن يقصَّ على الناسِ ويذكرَهم. ومن اشتغلَ برأيهم وعلمِهم فإنَّه يفتي ويقضِي ويحكمُ ويدرِّسُ، وهؤلاء لهُم نصيبٌ من الذين: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُم غَافِلُونَ) [1]. والحاملُ لهم على هذا شدَّةُ محبَّتِهم للدنيا وعلوّها ولو أنهم زهِدُوا في الدنيا ورغِبُوا في الآخرةِ، ونصحُوا أنفسَهُم وعبادَ اللهِ لتمسَّكُوا بما أنزلَ اللهُ على رسولِهِ، وألزمُوا الناسَ بذلك، فكان الناسُ حينئذٍ أكثرُهُم لا يخرجونَ عن التقوى. فكان يكفِيهم ما في نصوصِ الكتابِ والسنةِ، ومن خرج منهُم عنها كانَ قليلاً، فكانَ اللهُ يقيضُ من يفهمُ من معاني النصوص ما يردُّ به الخارجُ عنْهَا إلى الرجوع إليهَا ويستغني بذلكَ عمَّا ولَّدوه من الفروع الباطنةِ والحيلِ المحرّمةِ التي بسببِهَا انفتحتْ أبوابُ الرياءِ وغيرِه من المحرَّمات. واستُحِلَّتْ محارمُ اللهِ بأدنى الحيل، كما فعلَ أهلُ الكتابِ: (فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [2].

---

1 – الروم:7

2 – تفسير ابن رجب الحنبلي (1 / 419)

المبحث الثالث: الحقد على الآخرين وأثره

أولا: تعريف مرض الحقد:

الحقد لغة: هو الاسم من قولهم: حقد فلان يحقد، وهو مأخوذ من مادّة (ح ق د) الّتي تدلّ على الضغن، يقول ابن فارس: «الحاء والقاف والدال أصلان: أحدهما الضغن، والآخر ألّا يوجد ما يطلب، فالأوّل الحقد، والآخر قولهم: أحقد القوم إذا طلبوا الذهبة في المعدن فلم يجدوها[1].

وقال الجوهريّ: الحقد: الضغن وجمعه أحقاد، يقال: حقد عليه وحقد عليه، وأحقده غيره، ورجل حقود[2].

وقال ابن منظور: الحقد إمساك العداوة في القلب والتربّص لفرصتها، والحقد: الضغن، وهو الحقيدة والجمع حقائد، يقال من ذلك: حقد عليّ يحقد حقدا، وحقد (بالكسر) حقدا وحقدا فيهما[3] ، فالحقد: الفعل (أي المصدر) ، والحقد: الاسم (من ذلك) ، وتحقّد كحقد (في المعنى) ، قال جرير:ولقد جمعن مع البعاد تحقّدا، ورجل حقود: كثير الحقد، وأحقده الأمر: صيّره حاقدا، وأحقده غيره (جعله يحقد) [4]

الحقد اصطلاحا:

عرفه أبو البقاء الكفوي: هو سوء الظنّ في القلب على الخلائق لأجل العداوة [5]

وقال الجرجانيّ: الحقد: هو طلب الانتقام، وتحقيقه: أنّ الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفّي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا[6]

وقال الجاحظ: الحقد: هو إضمار الشرّ للجاني إذا لم يتمكّن من الانتقام منه فأخفى ذلك الاعتقاد إلى وقت إمكان الفرصة[1]

---

1 – مقاييس اللغة 2/ 89»

2 – الصحاح للجوهري2/ 466 تحقيق:أحمد عبد الغفور مط: دار الملايين بيروت ط: الرابعة: 1407 هـ – 1987

3 – مراد ابن منظور أنه يقال في الفعلين حقد (بالتحريك) ، وحقد (بكسر القاف) حقد، ثم فسّر ذلك بأن الكلمة بكسر الحاء (حقد) هي الاسم من الفعلين جميعا.

4 – لسان العرب 3/ 154، وانظر أيضا: القاموس المحيط ص 354 (ط. بيروت) .

5 – التعريفات ص 96، وقد ذكر أبو البقاء الكفوي التعريف ذاته (انظر: الكليات 2/ 26)

6 – التعريفات للجرجاني ص 95.

ومن الألفاظ المرادفة أو المقاربة للحقد: الضغينة: أنّها الحقد الشديد أو الحقد المصحوب بالعداوة (الظاهرة) .[2]

والنقمة: وهي الكراهية الّتي تصل إلى حدّ السخط .والغلّ: وممّن استعمل ذلك القرطبيّ في تفسيره عندما قال: الغلّ: هو الحقد الكامن في الصّدر . وغيرهم [3]

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى[4]

ذكر ابن حجر: الحقد مع كلّ من الغضب بالباطل والحسد على أنّها جميعا من كبائر الباطن، وعلّل جمعه لهذه الكبائر الثلاث بقوله: لما كانت هذه الثلاثة بينها تلازم وترتّب، إذ الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب كانت بمنزلة خصلة واحدة، وذمّ كلّ يستلزم ذمّ الآخر، لأنّ ذمّ الفرع وفرعه يستلزم ذمّ الأصل وأصله وبالعكس[5].

قال الغزاليّ: إنّ من آذاه شخص بسبب من الأسباب، وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه، أبغضه قلبه وغضب عليه، ورسخ في قلبه الحقد عليه، والحقد يقتضي التشفّي والانتقام، فإن عجز المبغض (الحقود) أن يتشفّى بنفسه أحبّ أن يتشفّى من خصمه الزمان، وقد يحدث الحقد بسبب خبث النفس وشحّها بالخير لعباد الله تعالى وقد تناول الإمام الغزالي هذين السببين في الإحياءوذكر أنهما من مسببات الحسد، وذلك صحيح ولكنهما يؤديان في البداية إلى الحقد الذي يتحوّل إلى الحسد. [6].

ليس أروح للمرء، ولا أطرد لهمومه، ولا أقرّ لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبرأً من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق لأحد رضي بها، وأحسّ فضل الله فيها، وفقر عباده إليها، وإذا رأى أذى يلحق أحدا من خلق الله رثى له، ورجا الله أن يفرّج كربه ويغفر ذنبه، وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة، راضيا عن الله وعن الحياة، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى، ذلك أنّ

---

1 - تهذيب الأخلاق ص 33.

2- المفردات للراغب 297 (ت. كيلاني) انظر الصحاح 6/ 2154. ومقاييس اللغة 3/ 206.ولسان العرب 13/ 254 وانظر تفسير القرطبي 16/ 251.

3- انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (10 / 4431)

4 - (إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ومعه تخريج الحافظ العراقي (4/ 314)

5 - الزواجر 1/ 52، وقد ذكر الغزالي في الإحياء 3/ 186 العلاقة ذاتها بين الغضب والحقد من ناحية، وبين الحقد والحسد من ناحية أخرى عندما قال: اعلم أن الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب.

6 - انظر: الإحياء 3/ 192- 193،

فساد القلب بالضّغائن داء عضال، وما أسرع أن يتسرّب الإيمان من القلب المغشوش، كما يتسرّب السائل من الإناء المثلوم.

إنّ الشيطان ربّما عجز أن يجعل من الرجل العاقل عابد صنم، ولكنّه- وهو الحريص على إغواء الإنسان وإيراده المهالك لن يعجز عن المباعدة بينه وبين ربّه، حتّى يجهل حقوقه أشدّ ممّا يجهلها الوثنيّ المخرّف، وهو يحتال لذلك بإيقاد نار العداوة في القلوب، فإذا اشتعلت استمتع الشيطان برؤيتها وهي تحرق حاضر الناس ومستقبلهم، وتلتهم علائقهم وفضائلهم، ذلك أنّ الشرّ إذا تمكّن من الأفئدة (الحاقدة) تنافر ودّها وارتدّ الناس إلى حال من القسوة والعناد، يقطعون فيها ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض. [1]

إنّ الحقد هو المصدر الدفين لكثير من الرذائل الّتي رهّب منها الإسلام، فالافتراء على الأبرياء جريمة يدفع إليها الكره الشديد (الحقد) ، وقد عدّها الإسلام من أقبح الزور، أمّا الغيبة فهي متنفّس حقد مكظوم، وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء، ومن لوازم الحقد سوء الظنّ وتتبّع العورات، واللمز، وتعيير الناس بعاهاتهم، أو خصائصهم البدنيّة أو النفسيّة، وقد كره الإسلام ذلك كلّه كراهية شديدة.

وذكر الشيخ محمد الغزالي حال الحاقدين ما ملخصله: إنّ جمهور الحاقدين تغلي مراجل الحقد في أنفسهم، لأنّهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما تمنّوه لأنفسهم قد فاتهم، وامتلأت به أكفّ أخرى، وهذه هي الطامّة الّتي لا تدع لهم قرارا، وهم بذلك يكونون خلفاء إبليس- الّذي رأى أنّ الحظوة الّتي كان يتشهّاها قد ذهبت إلى آدم- فآلى ألّا يترك أحدا يستمتع بها بعدما حرمها، وهذا الغليان الشيطانيّ هو الّذي يضطرم في نفوس الحاقدين ويفسد قلوبهم، فيصبحون واهني العزم، كليلي اليد، وكان الأجدر بهم أن يتحوّلوا إلى ربّهم يسألونه من فضله، وأن يجتهدوا حتّى ينالوا ما ناله غيرهم، إذ خزائنه سبحانه ليست حكرا على أحد، والتطلّع إلى فضل الله عزّ وجلّ مع الأخذ بالأسباب هي العمل الوحيد المشروع عند ما يرى أحد فضل الله ينزل بشخص معيّن، وشتّان ما بين الحسد والغبطة أو بين الطموح والحقد.[2]

ثانيا: أسباب ظهوره:

يظهر مرض الحقد لأسباب كثيرة ومتعددة وبعضها أكثر خطورة من الآخر ، وتزداد الحقد كلما تعددت الأسباب، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي :

---

1 - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (10 / 4433):

2 - انظر: «خلق المسلم» للشيخ محمد الغزالي ص 90- 102 باختصار وتصرف

1 – المماراة والمنافسة: – كما كان أمر المنافقين الذين قدموا أمام النبيﷺ عذرهم وبدؤا بالمماراة والمنافسة والمكالمة وبعدئذ نافقوا وضلوا وأضلوا بسبب حقدهم قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَأَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (11) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً (12) ﴾[1] قال الغزالي: (وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة فإنها عين التدابر والتقاطع فإن التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان) [2].

2 – المزاح: المزاح الذي يخرج عن حده يغرس الحقد في القلوب، قال الأبشيهي: (المزاح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الإيمان والود) [3].

3 – الخصومة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ (204) وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ (205)﴾ [4]

قال النووي: (والخصومةُ تُوغرُ الصدورَ، وتهيجُ الغضبَ، وإذا هاجَ الغضبُ حصلَ الحقدُ بينهما، حتى يفرح كل واحد بمساءةِ الآخر، ويحزنُ بمسرّته، ويُطلق اللسانَ في عرضه) [5].

4 – إذا فاته الشخص ما يتمناه لنفسه وحصل عليه غيره: قال محمد الغزالي: (المسلم يجب أن يكون أوسع فكرة، وأكرم عاطفة، فينظر إلى الأمور من خلال الصالح العام، لا من خلال شهواته الخاصة. وجمهور الحاقدين تغلي مراجل الحقد في أنفسهم، لأنهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد فاتهم، وامتلأت به أكف أخرى، وهذه هي الطامة التي لا تدع لهم قراراً. وقديماً رأى إبليس أن الحظوة التي يتشهاها قد ذهبت إلى آدم، فآل ألا يترك أحداً يستمتع بها بعد ما حرمها. قَالَ فَبِمَا

---

1 – الفتح:11-12

2 – إحياء علوم الدين للغزالي (2/ 179).

3 – المستطرف في كل فن مستطرف :شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: 852هـ) (ص 133). الناشر: عالم الكتب – بيروت ط: الأولى، 1419 هـ

4 – البقرة:204-205

5 – ((الأذكار)) للنووي (ص 371).

أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ[1].

هذا الغليان الشيطاني هو الذي يضطرم في نفوس الحاقدين ويفسد قلوبهم. وقد أهاب الإسلام بالناس أن يبتعدوا عن هذا المنكر، وأن يسلكوا في الحياة نهجاً أرقى وأهدأ) [2].

ثالثا: آثار الحقد:

يقول المفكر الإسلامي الإمام الغزالي بأن الحقد ثمرة الغضب ونتيجته وكذلك الحقد يثمر ثمانية أمور:

الأول الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى

الثاني: أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشمت بما أصابه من البلاء

الثالث: أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك

الرابع: وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له

الخامس :أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره

السادس: أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه

السابع: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه

الثامن: أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام

وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة : وهي كما يلي:

(1) الحقد مرض عضال من أمراض القلب، يخشى معه أن يتسرّب الإيمان من هذا القلب المريض.

(2) الأحقاد نزغ من عمل الشيطان لا يستجيب له إلّا من خفّت أحلامهم وطاشت عقولهم.

(3) الحقد مصدر للعديد من الرذائل مثل الحسد والافتراء والبهتان والغيبة.

---

1 - [الأعراف: 15 - 16]

2 - خلق المسلم لمحمد الغزالي (ص 80).

(4) في الحقد دليل على غباء صاحبه ووضاعته لأنّه ينظر إلى الأمور نظرة قاصرة لا تجاوز شهواته الخاصّة.

(5) الحقد يغضب الربّ عزّ وجلّ ويؤدّي بصاحبه إلى الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

(6) الحاقد قلق النفس دائما لا يهدأ له بال طالما رأى نعمة الله يسعد بها سواه. وهو ساقط الهمّة، ضعيف النفس، واهن العزم، كليل اليد أيضا.

(7) الحاقد رجل مضلّل ضائع، مخطيء في تقديره فهو محصور التفكير في الدنيا ومتاعها ويتّبع بالغيظ من نال منها حظّا أوفر.

(8) الحاقد جاهل بربّه وبسننه في هذا الكون، لأنّ لله حكما قد لا تظهر في التوّ واللحظة، وقد يكون ما ظنّه الحاقد نعمة فاتته وأدركت غيره مجرّد ابتلاء واختبار تجلب على صاحبها من العناء ما لا يطيقه الحاقد الّذي يتمنّاها.

ومن أخطر جرائم الأغنياء التي تسبب الحقد والحسد والكراهية التعامل بالربا، وما ينتج عنه من أضرار اقتصادية واجتماعية مدمرة.

1 – **الحقد يثمر الحسد** وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به. كما قال الله تبارك وتعالى: {إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا} [آل عمران: 120]

2 – الشماتة بما أصابه من البلاء.

3 – الهجران والمقاطعة.

4 – الإعراض عنه استصغارا له.

5 – التكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره.

6 – محاكاته استهزاء به وسخرية منه.

7 – إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

8 – منعه من حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة[1]

9 – الحقد من مظاهر دنو الهمة فهو لا يصدر من النبلاء، ولا يليق بالعقلاء[2]

10 – الحقد ينبت سوء الظن، وتتبع العورات، والهمز واللمز، والغيبة والنميمة.

11 – ومن مضار الحقد أيضاً أنه يقتضي التشفي والانتقام.

12 – جحد الحق وعدم اتباعه[3].

الآيات الواردة في «الحقد» معنى

1– وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ (204) وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ (205) «1»

2– كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَتَأْبى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ (8) «2»

3– يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ (64) «3»

4– وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) «4»

5– ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82) (*) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ (83)

إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) «5» وجه ذكر هذا الشاهد والذي قبله أن الله عز وجل امتدح القلب السليم أي الى الخالص من الأوصاف الذميمة وفيها الحقد والحسد والغل وغيرها من الأمراض، ويقتضي ذلك ذم القلب المريض بالحقد ونحوه.

6– ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ (28) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ (29) «6»

---

[1] انظر إحياء علوم الدين للغزالي (3/ 181).

[2] الهمة العالية لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص 55).

[3] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (10 / 4434):

7- إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ (36)

إِنْ يَسْئَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغانَكُمْ (37) «7»

8- سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَأَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (11) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً (12) «8»

---

(1) البقرة: 204- 205 مدنية

(2) التوبة: 8 مدنية

(3) التوبة: 64 مدنية

(4) الشعراء: 87- 89 مكية

(5) الصافات: 82- 84 مكية

(6) محمد: 28- 29 مدنية

(7) محمد: 36- 37 مدنية

(8) الفتح: 11- 12 مدنية

نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (10 / 4435,4439):

الأحاديث الواردة في ذمّ (الحقد)

1-* (عن أبي ثعلبة- رضي الله عنه- قال:قال النبيّ: «يطّلع الله إلى عباده ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمؤمنين ويمهل الكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتّى يدعوه») [1]

2-* (عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله؟: «ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهنّ، فإنّ الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء: من مات لا يشرك بالله شيئا، ولم يكن ساحرا يتّبع السحرة، ولم يحقد على أخيه») [2]

3-* (عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قام رسول الله؟ من الليل، فصلّى فأطال السجود حتّى ظننت أنّه قبض، فلمّا رأيت ذلك قمت حتّى حرّكت إبهامه، فتحرّك فرجع، فلمّا رفع رأسه من السجود، وفرغ من صلاته قال: «يا عائشة،- أو يا حميراء- أظننت أنّ النبيّ؟ قد خاس بك [3] » ، قلت: لا والله يا رسول الله، ولكنّي ظننت أنّك قبضت لطول سجودك، فقال:«أتدرين أيّ ليلة هذه؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال:هذه ليلة النصف من شعبان، إنّ الله عزّ وجلّ يطّلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخّر أهل الحقد كما هم») [4]

4-* (عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله؟ يقول: «النميمة والشتيمة والحميّة في النار» وفي لفظ: «إنّ النميمة والحقد في النار، لا يجتمعان في قلب مسلم» [5]

5-* (عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كنّا جلوسا مع رسول الله؟ فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنّة» ، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علّق نعليه بيده الشمال، فلمّا كان الغد قال النبيّ؟ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرّة الأولى، فلمّا كان اليوم الثالث قال النبيّ؟ مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأوّل، فلمّا قام النبيّ؟ تبعه عبد الله بن عمرو، فقال: إنّي لاحيث [6] أبي، فأقسمت أنّي لا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتّى تمضي فعلت. قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدّث أنّه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من

---

[1] رواه المنذري في الترغيب والترهيب 3/ 461،

[2] المرجع السابق،

[3] خاس بك: أي غدر بذمتك وضيّع وقت وجوده معك.

[4] رواه المنذري، الترغيب والترهيب 3/ 461- 462،

[5] رواه المنذري في الترغيب والترهيب 3/ 497، 498 .

[6] لا حيث: جادلت وخاصمت.

الليل شيئا غير أنّه إذا تعارّ تقلّب على فراشه ذكر الله عزّ وجلّ، وكبّر حتّى لصلاة الفجر [1] . قال عبد الله:غير أنّي لم أسمعه يقول إلّا خيرا، فلمّا مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله؟ يقول لك ثلاث مرّات: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنّة، فطلعت أنت الثلاث المرّات، فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الّذي بلغ بك ما قال رسول الله؟؟ قال: ما هو إلّا ما رأيت، فلمّا ولّيت دعاني فقال: ما هو إلّا ما رأيت، غير أنّي لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشّا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إيّاه، فقال عبد الله: هذه الّتي بلغت بك. وفي رواية البزّار- سمّى الرجل المبهم سعدا- وقال في آخره: فقال سعد: ما هو إلّا ما رأيت يا ابن أخي إلّا أنّي لم أبت ضاغنا على مسلم. أو كلمة نحوها) [2]

6-* (عن جابر- رضي الله عنه- قال:تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فمن مستغفر فيغفر له، ومن تائب فيتاب عليه، ويردّ أهل الضغائن بضغائنهم حتّى يتوبوا) * [3] . قال المنذريّ: الضغائن: هي الأحقاد.

7-* (عن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنهما- قال: كان الناس يسألون رسول الله؟ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلت:يا رسول الله، إنّا كنّا في جاهليّة وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شرّ؟ قال: «نعم» ، فقلت: هل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن [4] ، قلت: وما دخنه؟ قال قوم يستنّون بغير سنّتي ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر ...الحديث») [5]*

---

[1] كبر حتى لصلاة الفجر أي حتى يؤذن لصلاة الفجر.

[2] رواه أحمد في مسنده 3/ 166، والمنذري في الترغيب والترهيب 3/ 499 وقال: رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي، ورواته احتجّا بهم أيضا إلّا شيخه سويد بن نصر، وهو ثقة، وأبو يعلى والبزار بنحوه.

[3] المنذري، الترغيب والترهيب 1/ 459، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورواته ثقات.

[4] الدخن: أصله أن تكون في لون الدابة كدورة إلى سواد، والمراد هنا ألا تصفو القلوب بعضها لبعض، ولا يزول خبثها ولا ترجع إل ما كان عليه من الصفاء.

[5] صحيح البخاري- الفتح ، رقم الحديث(3606) ، و صحيح مسلم ، رقم الحديث(1847) واللفظ له.

8-* (جاء في حديث الدية عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله؟: «عقل شبه العمد مغلّظة، مثل عقل العمد، ولا يقتل صاحبه، وذلك أن ينزو الشيطان بين الناس فتكون دماء في غير ضغينة ولا حمل سلاح ...الحديث») [1]

9-* (عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله؟: «لا يبلّغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا، فإنّي أحبّ أن أخرج إليكم وأنا سليم «[2]» الصدر) [3]

10-* (عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله؟ يقول: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشبّهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتّقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإنّ لكلّ ملك حمى، ألا وإنّ حمى الله في أرضه محارمه. ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه «[4]» ، ألا وهي القلب) [5]

11-* (عن أبي هريرة- رضي الله عنه- يقول: سمعت رسول الله؟ يقول: «سيصيب أمّتي داء الأمم، فقالوا: يا رسول الله وماداء الأمم؟ قال:«الأشر «[6]» والبطر والتكاثر والتناجش في الدنيا والتباغض والتحاسد حتّى يكون البغي») *[7]

---

[1] هذا جزء من حديث طويل رواه عمرو بن شعيب عن أبيه (محمد، عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهم جميعا-) وقد أورده أحمد في المسند رقم (7033) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، الذي قال: إسناده صحيح، وروى أبو داود هذا الجزء من الحديث إلّا أنه زاد كلمة في «عمّيّا» قبل قوله «في غير ضغينة» انظر سنن أبي داود (4565) ، وقال محقق «جامع الأصول» (4/ 414) : وهو حديث حسن.

[2] سلامة الصدر هنا تعني خلوه من الكراهية والبغضاء وغير ذلك من أمراض القلب، ولما كانت النميمة تثير الصدر وتوغر القلب كانت كالعداوة في جلب الحقد وسببا من أسبابه، والقضاء عليها يقضي على سبب مهم من الأسباب التي تجلب الضغائن وتثير الأحقاد.

[3] أبو داود (4860) ، وقال محقق جامع الأصول (8/ 452) : حديث صحيح.

[4] وجه ذكر الحديث هنا أن سلامة القلب تعني خلوه من الحقد والحسد والبغضاء والرياء وغيرها من كبائر الباطن.

[5] صحيح البخاري- الفتح 1 (52) واللفظ له، ومسلم (1599) .

[6] الأشر: المرح وقيل: هو البطر، والبطر: هو الطغيان في النعمة، والتناجش هو أن يزيد الرجل ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها.

[7] الحاكم في المستدرك (4/ 168) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

12-* (عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال:قال رسول الله؟: «تفتح أبواب الجنّة يوم الاثنين، ويوم الخميس. فيغفر لكلّ عبد لا يشرك بالله شيئا إلّا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتّى يصطلحا. أنظروا هذين حتّى يصطلحا. أنظروا هذين حتّى يصطلحا») [1]

13-* (عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- قال: كان النبيّ؟ يقول: «ربّ أعنّي ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسّر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ، ربّ اجعلني لك شكّارا، لك ذكّارا، لك رهّابا، لك مطواعا، لك مخبتا، إليك أوّاها منيبا، ربّ تقبّل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبّت حجّتي، وسدّد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري [2]» ») [3]

وأما الحسد فهو من نتائج الحقد كما قال به الإمام الغزاليّ: اعلم أنّ الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب فهو (أي الحسد) فرع فرعه، والغضب أصل أصله- أي أصل الحقد-) [4]

---

[1] رواه مسلم في صحيحه : رقم الحديث (2565) .

[2] سخيمة صدري: غشه وحقده وغله.

[3] الترمذي (3551) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة (3830) .

[4] إحياء علوم الدين 3/ 198.

المبحث الرابع: الشك والريبة وأثرهما

أولا: تعريف الشك:

الشك لغة:

الشّك مصدر شكّ في الأمر يشكّ شكّا إذا التبس، يقول ابن فارس: الشّين والكاف أصل واحد مشتقّ بعضه من بعض، وهو يدلّ على التّداخل، من ذلك شككته بالرّمح وذلك إذا طعنته، فداخل السّنان جسمه. ومن هذا الباب الشّكّ الّذي هو خلاف اليقين، إنّما سمّي بذلك، لأنّ الشّاكّ كأنّه شكّ له الأمران في مشكّ واحد، وهو لا يتيقّن واحدا منهما، فمن ذلك اشتقاق الشّكّ. تقول: شككت بين ورقتين، إذا أنت غرزت العود فيهما فجمعتهما.

وقيل: الشّكّ الارتياب، ويستعمل الفعل لازما ومتعدّيا بالحرف، فيقال: شكّ الأمر يشكّ شكّا لإذا التبس، وشككت فيه، وقولهم خلاف اليقين يعني التّردّد بين شيئين سواء استوى طرفاه، أو رجح أحدهما على الآخر، قال تعالى: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ [1]أي غير مستيقن، وهو يعمّ الحالتين والشّكوك النّاقة الّتي يشكّ في سنامها، أبه طرق أم لا لكثرة وبرها فيلمس سنامها والجمع شكّ، وشكّه بالرّمح والسّهم ونحوهما يشكّه شكّا: انتظمه.. وشككته بالرّمح إذا خرقته وانتظمته.

والشّكّة: السّلاح، وقيل: ما يلبس من السّلاح.

والشّكّ لزوق العضد بالجنب.. والشّكّ اللّزوم واللّصوق.. وشكّ البعير يشكّ شكّا أي ظلع ظلعا خفيفا.[2]

وقال ابن منظور: الشّكّ نقيض اليقين، وجمعه شكوك، وهو الرّيب وقد شككت في كذا، وشكّ في الأمر يشكّ شكّا وشكّكه فيه غيره. وتشكّك في الأمر تشكّكا بمعنى شكّ. أنشد ثعلب:

من كان يزعم أن سيكتم حبّه ... حتّى يشكّك فيه، فهو كذوب

أراد حتّى يشكّك فيه غيره. [3]

وفي الحديث: «أنا أولى بالشّكّ من إبراهيم»[1] لما نزل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾[2]

---

1 - (يونس/ 94)

[2] مقاييس اللغة لابن فارس : 3 -173

3 - «لسان العرب (10/ 451- 452)وانظر المصباح المنير (302) ، ومقاييس اللغة لابن فارس (3/ 173) »

وقال الفيروزابادي: والشّكّ ربّما كان في الشّيء: هل هو موجود أو غير موجود؟ وربّما كان في جنسه أي من أيّ جنس هو، وربّما كان في بعض صفاته، وربّما كان في الغرض الّذي لأجله أوجد، والشّكّ ضرب من الجهل، وهو أخصّ منه، لأنّ الجهل قد يكون عدم العلم بالنّقيضين رأسا. وكلّ شكّ جهل، وليس كلّ جهل شكّا. وأصله من شككت الشيء. إذا خرقته، قال عنترة:

وشككت بالرّمح الأصمّ لمّاته ... ليس الكريم على القنا بمحرّم

وكأنّ الشّكّ الخرق في الشّيء، وكونه بحيث لا يجد الرّأي مستقرّا يثبت فيه ويعتمد عليه. ويجوز أن يكون مستعارا من الشّكّ وهو لصوق العضد بالجنب، وذلك أن يتلاصق النّقيضان فلا مدخل للفهم والرّأي ليتخلّل ما بينهما، ويشهد لهذا قولهم: التبس الأمر واختلط وأشكل. ونحو ذلك من الاستعارات.[3]

الشك اصطلاحا:

قال الجرجاني: الشّكّ: هو التّردّد بين النّقيضين لا ترجيح لاحدهما على الآخر عند الشّاكّ.

وقيل: الشّكّ ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشّيئين لا يميل القلب إلى أحدهما، فإذا ترجّح أحدهما، ولم يطرح الآخر فهو ظنّ، فإذا طرحه، فهو غالب الظّنّ، وهو بمنزلة اليقين[4]

وقيل: الشّكّ اعتدال النّقيضين عند الإنسان وتساويهما، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النّقيضين. أو لعدم الأمارة فيهما[5]

وقال المناوي: الشّكّ: الوقوف بين النّقيضين، وقيل: هو الوقوف بين المعنى ونقيضه، وضدّه:[6]

وقال الكفوي: وقال بعضهم: الشّكّ ما استوى فيه اعتقادان أو لم يستويا، ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظّهور الّذي يبني عليه العاقل الأمور المعتبرة.

---

1 – النهاية في غريب الحديث: (2/ 495) .

2 – (البقرة/ 260)

3 – «المفردات للراغب (272) والتوقيف للمناوي (207) ، بصائر ذوي التمييز (3/ 332) » .

4 – « التعريفات للجرجاني (128)»

5 – « المفردات (272) ، وانظر الكليات للكفوي (528) » .

6 الاعتقاد « التوقيف على مهمات التعاريف (207)» .

والشّكّ كما يطلق على ما لا يترجّح أحد طرفيه، يطلق أيضا على مطلق التّردّد، وعلى ما يقابل العلم[1]

قال ابن الجوزيّ: ذكر أهل التّفسير أنّ المرض في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: مرض البدن، الفجور ، الشك : **الشّكّ**، ومنه قوله تعالى في براءة (التّوبة) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ. [2]

{وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا }[3]

ولا يزول الشك والريب من قلب المريض إلا بالتزام قراءة القرآن وتفكر وتدبر فيه وبالتزام مجلس العلماء الصلحاء، فالقرآن: أنه _القرآن_ بلغ في الوضوح إلى حيث لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه، والأمر كذلك؛ لأن العرب مع بلوغهم في الفصاحة إلى النهاية عجزوا عن معارضة أقصر سورة من القرآن، وذلك يشهد بأنه بلغت هذه الحجة في الظهور إلى حيث لا يجوز للعاقل أن يرتاب فيه. [4]

والتزام بصحبة العلماء بانها تزيل الشك وينتقل إلى اليقين كماذكر الإمام الفخرالدين الرازي في تفسيره: «لا تجالسوا العلماء إلا إذا دعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى النصيحة ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الرغبة إلى الزهد» [5]

إن بعض العلماء فرقوا بين الريب والشك بأن الريب شك مع تهمة مثلا:قال الراغب الأصفهاني: الشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر بأمارة ، والمرية التردد في المتقابلين وطلب الأمارة من مرى الضرع أي مسحه للدر ، والريب أن يتوهم في الشيء ثم ينكشف عما توهم فيه[6]

---

1 – « الكليات للكفوي (528) .» .

2 – « نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) (545- 546) ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت ط: الأولى، 1404هـ – 1984م , (التوبة:125)

3 – (البقرة: 23)

4 – مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) (2/ 31)

5 – مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) (2/ 345)

6 – تفسير الألوسي (1/ 91) بترقيم الشاملة آليا)

ويجب على المسلم ألا يبني أموره على الشك والتردد بل يبنيها على اليقين مهما كان الأمر من أمور العملية والاعتقادية والأخلاقية كما علمنا النبيﷺ عندما سجد سجدتين بعد ما قال له ذو اليدين – رضي الله عنه– أقصرت الصّلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فعن أبي هريرة– رضي الله عنه– أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انصرف من اثنتين، فقال له ذو اليدين: أقصرت الصّلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أصدق ذو اليدين؟» فقال النّاس: نعم. فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فصلّى اثنتين أخريين، ثمّ سلّم، ثمّ كبّر، فسجد مثل سجوده أو أطول) [1] .

وعلى كثير الشاك أن يترك الشكوك ولا يذهب خلف كل شك كما في أثر عن عائشة (روي عن عائشة– رضي الله عنها– أنّها سئلت عن أكل الصّيد للمحرم إذا لم يصبه، فقالت: «إنّما هي أيّام قلائل فما رابك فدعه. يعني ما اشتبه عليك هل هو حلال أو حرام فاتركه»)[2]. وكذا ورد عن أبي الحوراء السّعديّ؛ قال: قلت للحسن بن عليّ– رضي الله عنهما–: ما حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قال: حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنّ الصّدق طمأنينة، وإنّ الكذب ريبة»[3]

ثانيا: أسباب ظهوره

الجهل عن منّ الله وإحسانه: الكفار والمشركين وقعوا في الشك في ذات الله سبحانه وتعالى وفي رسالة الأنبياء عليهم السلام ولبس عليهم كونهم بشراً ؛ فشكهم في الله كما قال تعالى:﴿قالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[4] وشكهم في الرسالة ﴿قالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتُونا بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾[5] وهم جهلوا عن منّ الله تعالى على الأنبياء من البشر الذي ذكره الله في قوله: ﴿قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[6]

أسباب: العجب والكبر وإهانة الرسل: وَعَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذّابٌ (4)

---

1 – البخاري– الفتح 3 (1228) واللفظ له، ومسلم (573)

2 – جامع العلوم والحكم (95) »

3 – الترمذي (2518) واللفظ له. وقال: حديث حسن »

4 – إبراهيم: 10

5 – إبراهيم: 10

6 – إبراهيم:11

ضيق الصدر: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك }[1] وسمي الشك حرجا، لأن الشاك ضيق الصدر حرج الصدر، كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسح القلب.[2]

تقليد الأعمى والأصم: قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذا كُنَّا تُراباً وَآباؤُنا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَآباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (3)

أثر: التخلف عن التضحية والحروب:

22- إِنَّما يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (4)

ألا ينظر الشاك والمريب ولا يتذكر ولو في أصله: - يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتى وَأَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (5)

ثالثا: آثار الشك والريبة على المجتمع والفرد

الشاك لا يسأل عنه: يدخل في النار ثلاثة وهم لا يسألون وعد النبيﷺ الشاك من الثلاث حيث جاء في الحديث أنه قال : (عن فضالة بن عبيد- رضي الله عنه- عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا، وأمة أو عبد أبق فمات، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤنة الدّنيا فتبرّجت بعده. فلا تسأل عنهم. **وثلاثة لا**

---

1 - (يونس: 94)

[2] لينظر: مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) (15/ 21)

3 - النمل:65-68

4 - التوبة:45

5 - الحج:5-7

تسأل عنهم: رجل نازع الله– عزّ وجلّ– رداءه، فإنّ رداءه الكبرياء وإزاره العزّة، ورجل شكّ في أمر الله، والقنوط من رحمة الله») [1].

يعذب في القبر والآخرة: الذي يشك في الله ورسوله فيعذب عذابا شديدًا في قبره والآخرة لا نهاية له وذلك يبدأ من موته فوراً كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة– رضي الله عنه– عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الميّت يصير إلى القبر. فيجلس الرّجل الصّالح في قبره، غير فزع ولا مشعوف «2» . ثمّ يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام. فيقال له: ما هذا الرّجل؟ فيقول: محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جاءنا بالبيّنات من عند الله فصدّقناه. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار. فينظر إليها يحطم بعضها بعضا. فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله. ثمّ يفرج له قبل الجنّة. فينظر إلى زهرتها وما فيها. فيقال له: هذا مقعدك. ويقال له: على اليقين كنت، وعليه متّ، وعليه تبعث إن شاء الله. ويجلس الرّجل السّوء في قبره فزعا مشعوفا. فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: ما هذا الرّجل؟ فيقول: سمعت النّاس يقولون قولا فقلته. فيفرج له قبل الجنّة. فينظر إلى زهرتها وما فيها. فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك. ثمّ يفرج له فرجة قبل النّار. فينظر إليها يحطم بعضها بعضا. فيقال له: هذا مقعدك. **على الشّكّ كنت، وعليه متّ، وعليه تبعث، إن شاء الله تعالى»**) [2]

الوقوع في الضلال: وَما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلّا مَلائِكَةً وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَيَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً وَلا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكافِرُونَ ماذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلّا هُوَ وَما هِيَ إِلّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ [3]

يضعف الإيمان وينقصه: الشّكّ والريبة يتأثر على عقيدة الفرد حيث يضعف الإيمان بالله– عزّ وجلّ– وبالملائكة والكتاب والنّبيّين وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّه،

---

1 – أحمد (6/ 19) واللفظ له، والحاكم في المستدرك (1/ 119) وصححه ووافقه الذهبي

2 – ابن ماجة 2 (4268) واللفظ له، وفي الزوائد: إسناده صحيح، ونحوه عند البخاري في الجنائز– الفتح 3 (1374) ، (1374) ، ومسلم (2870) .

3 المدثر:31 515

أثاره: على المتجمع:

مقدمة للتكذيب والكفر: عد القرآن الكريم الشك والريبة من الأسباب التي تؤدي إلى التكذيب والكفر[1]ويوجب بهما العذاب كما نزل عذاب الله على الأمم الماضية بتكذيبها ومن أسباب تكذيبهم إبداء الشك فيما جاءت به الرسل عليهم السلام وورد ذكر هذه الصورة من تكذيبهم في موضعين من القرآن الكريم والخطاب في إحدهما حكاية لما ردّ به عامة المكذبين على دعوة رسلهم وهو قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ}[2] والموضع الآخر فهو مقالة ثمود لنبيهم صالح عليه السلام، وهو قوله تعالى: {قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ}[3] ووقوع القلوب في مرض الشك في دعوة الرسل أسلوب خبيث من أساليب التكذيب وصورة سيئة من صور الخداع والتمويه فهؤلاء المكذبون عندما عبرو عن تشككهم التي كان بسبب مرض قلوبهم في دعوة الرسول وأوهمو أنهم قد سبروا الأدلة والأمارات، وقارنوا بينها فلم يتبين لهم صحة دعوة الرسل من كذبها، فهم في موقف المتردد الباحث عن الحق بين أمرين المتناقضين، لكن الأدلة لم تسعفه للوصول إلى معرفة الصحيح منهما. وكأنهم بهذا يزعمون أنهم لو علموا صحة دعوة الرسل، وتبين لهم صدقهم لاتبعوهم. [4] والحقيقة كانت مختلفة تماما ولكن قادهم الشك إلى التكذيب والضلال.

وهؤلاء أهل الشك المذموم أضافوا إلى الشك ما يفيد ترجح كفه وجانب التكذيب لديهم على كفة التصديق بسبب عميهم وجهلهم واتباع الهوى، فوصفوا شكهم بأنه ﴿مريب﴾[5] أي يوجب التهمة

---

516 انظر:أدب الدنيا والدين:علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) 1/ 186 الناشر: دار مكتبة الحياة تاريخ النشر: 1986م, موسوعة الأخلاق الإسلامية لخالد بن جمعة بن عثمان الخراز 2-298 الناشر: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت ط: الأولى، 1430 هـ - 2009 م- والدرر السنية (2/ 299)

2 - [إبراهيم: 9]

3 - [هود: 62]

4 - [هود: 61] ,تيسير الكريم الرحمن_ المعروف ب تفسير السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) 206/3 ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالةط: الأولى 1420هـ -2000 م.

5 - (هود:110)

من ارتبته فأنا أريبه إرابة، إذا فعلت له فعلا يوجب له الريبة. [1]فشكوا وتوفقوا في إمضاء أحد الأمرين، ثم ارتابوا في جانب الصدق فكانو في شك مؤكدٍ بارتياب[2].

وهذا الذي تعلق به شكهم وريبهم في قولهم ﴿مما تدعوننا إليه﴾ أو ﴿مما تدعونا إليه﴾ هو مجمل ما دعت إليه الرسل عليهم السلام، وأوله وآكده هو توحيد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وترك عبادة الأصنام والأوثان، وهو قصدهم بالشك والارتياب، فمقالة ثمود التي ورد فيها تشككهم كان جوابا لما دعا إليه صالح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿{ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [3] وأما الآية الأخرى الوارده في عامة المكذبين، فالذي يدل فيها على أن قصدهم بما شكوا به هو توحيد جل وعلا ما عقب به الرسل على مقالتهم في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}[4]

وإذا كان هؤلاء قد أخبروا عن مرض شكهم وارتيابهم في أصل الدين، فشكهم فيما تفرع منه من باب أولى، وما ذلك الشك والارتياب إلا تعبير عن تكذيب المبطن، والكفر المموّه.

يخلل في الحياة الاجتماعية: الشك والريبة في كل صغيرة وكبيرة يأتي إلى خلل في حياة الإجتماعية ويأتي إلى تفرق وتشتت في الأسرة وبين الزوجين وعلى المؤمن أن لا يشك في كل صغير وكبير حتي يكون قلبه سليما ومطمئنا من جانب الأسرة والمجتمع ومنع النبيﷺ من أمثال هذا الشكوك التي تؤدي إلى التفريق بين الزوجين وعالج النبيﷺ الشاك بأسلوب تربوي أحسن كما روي عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: جاء رجل إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، من بني فزارة، فقال: إنّ امرأتي جاءت بولد أسود، فقال: «هل لك من إبل؟» . قال: نعم قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر، قال: «فهل فيها من أورق؟» ، قال: إنّ فيها لورقا، قال: «فأنّى تراه؟» ، قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: «وهذا عسى أن يكون نزعه عرق») [5]

---

1 – تفسير الطبري: 216/7

2المحرر الوجيز لابن عطية 327/3

3 – هود: 31

4 – [إبراهيم: 10]

5 – سنن أبو داود (2260) واللفظ له. وقال الألباني (2/ 427) : صحيح، وابن ماجة، في كتاب النكاح (58)

المؤاخذة والعذاب إجتماعياً في الدنيا والآخرة: ﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (8) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (9) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11) [1]

لا يفيدهم التوبة: رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16)[2]

عدم القيام بالتبليغ والدعوة: إزالة الشك والريب من القلب حتم لازم للقيام على عمل التبليغ والإنذار كما يفهم من قوله تعالى: {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}[3] [الأعراف: 2] ويقول الإمام فخر الدين الرازي: الإقدام على الإنذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل إلا عند زوال الحرج عن الصدر، فلهذا السبب أمره الله تعالى بإزالة الحرج عن الصدر، ثم أمره بعد ذلك بالإنذار والتبليغ. [4]

سبب في استحقاق لعنة الله وغضبه: قال تعالى: وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا[5]. قال ابن القيم: (توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى: عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [6]

---

1 – الدخان:8-11

2 –الدخان:12-16

519- الأعراف:2

520- مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) (15/ 21) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: الثالثة - 1420 هـ.

521: [الفتح: 6]

522: الداء والدواء لعبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691 - 751) (1/ 138)ت: محمد أجمل الإصلاحي وخرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة ط: الأولى، 1429 هـ.

الفصل الثالث:

علاج أمراض القلوب وأثرها على الفرد والمجتمع

وهذا الفصل يشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علاج أمراض القلوب بالذكر والتلاوة

المبحث الثاني: علاج أمراض القلوب بالخوف والرجاء

المبحث الثالث: علاج أمراض القلوب بالرحمة والرأفة

المبحث الرابع: التدبر والاعتبار بالآخرين

قد بينا في الفصلين السابقين تعريف القلب مع أقسامه وأمراضه وأثر هذه الأمراض على الفرد والمجتمع وفي هذا الفصل سأبين طرق التخلص من هذه الأمراض العارضة على القلب وطريقه للعود إلى السلامة والإطمئنان وإلى الحالة التي خلق الله تعالى القلب عليها وذلك من خلال ثلاثة مباحث.

التمهيد:فقد أمرنا ربنا – عز وجل – بنظافةِ الظاهرِ، وأخذِ الزينةِ في مواطنَ، ومنها عند إرادةِ الصلاةِ، بقوله تعالى:يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ[1] وأمرنا بالطهارة عند إرادةِ الصلاةِ بقوله – تعالى– :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا] [2]ورتَّب على ذلك الفضلَ العظيمَ، ومن ذلك قولُه – صلى الله عليه وسلم –: ((إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهَه، خرج من وجهه كلُّ خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه، خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتْها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه، خرجت كل خطيئة مشتْها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًّا من الذنوب[3]

فإذا كانت طهارةُ الظاهرِ من البدن بهذه المنزلةِ والفضلِ، فطهارةُ القلبِ أولى بذلك؛ لأنَّ مدارَ الأعمالِ، والثوابَ والعقابَ، والقبولَ والردَّ عليها، فلا تُدخَل الجنةُ دخولاً ابتدئيًّا من غير عقاب، إلا بطهارة القلب كما يدل عليه قوله تعالى:"يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"[4]

وطهارة القلب ليست بالماء، والثيابِ النظيفةِ كطهارة البدن، إنما بالتخلص من الأوصافِ الذميمةِ، والاتصافِ بالأوصافِ الجميلةِ، ومن ذلك التخلصُ من دغلِ الشرك وغلِّه، فأعمالُ طاهرِ القلبِ كلُّها لله، لا يطلب من المخلوقين مدحًا، ولا تقديرًا وإجلالاً؛ بل هو يستسرُّ في العبادة، يَودُّ لو لم يطلع عليه أحدٌ، ومع ذلك هو خائفٌ وَجِلٌ من أن يكون لأحدٍ نصيبٌ في أعماله، فإذا عَمِل عملاً، سأل نفسه: لماذا هذا العملُ؟ وإن ترك شيئًا، سأل نفسه: لماذا تركتِ هذا العملَ؟ فإنْ أحبَّ أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن مَنع مَنع لله، وإن تقدَّم تقدم لله، وإن تأخر تأخر لله. فسَلِم من عبودية ما سوى الله، فلا يريد أن يكونَ لغيرِ الله فيه شركٌ بوجه من الوجوه، فقد أخلص عبوديته لله – تعالى–وهو قد طهَّر قلبَه من تحكيم غير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيه، قد عقد

---

[1] الأعراف: 31

[2] المائدة: 6

[3] رواه مسلم في صحيحه

[4] الشعراء: 88-89

قلبَه على الائتمامِ والاقتداءِ به وحدَه – صلى الله عليه وسلم – دون غيرِه، في الأقوالِ والأعمالِ، من أقوالِ القلبِ، وهي العقائدُ، وأقوالِ اللسان، وهي الخبرُ عما في القلب، وأعمالِ القلب، وهي الإرادةُ، والمحبةُ، والكراهةُ، وتوابعُها، وأعمالِ الجوارحِ، فيكون الحاكمُ عليه في ذلك كلِّه هو ما جاء به الرسول – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – فلا يتقدم بين يديه بعقيدةٍ، ولا قولٍ، ولا عملٍ، كما قال – تعالى :– (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)[1]

قد طهَّر قلبَه تجاه إخوانِه المسلمين، فلا يحسدُهم على نعمةٍ أنعمها اللهُ عليهم؛ بل يفرح بها؛ لأنَّه يعلم أنَّ محبةَ الخير للمسلمين مما افترضه الله عليه، وأنَّه إذا أخلَّ بذلك أخل بالإيمان الواجبِ؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((لا يؤمن أحدكم، حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه))[2]

لا يحتقر إخوانَه المسلمين؛ لعلمه بعظمِ ذلك عند الله – تعالى – لقوله – صلى الله عليه وسلم –: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)[3]

لا يتطرقُ الكِبرُ إلى قلبِه الطاهر؛ لأنَّه يعلمُ قولَ النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((لا يدخل الجنةَ مَن كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كبر)[4]

يحمل ما يصدر من إخوانه المسلمين على المحمل الحسن، فهو لا يسيء الظنَّ بهم؛ بل يلتمس العذر لزلاَّتهم وهفواتهم، ممتثلاً أمر ربه – عز وجل – بقوله} :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ[5]، يعلمُ أن ما هو فيه من خيرٍ، وصلاحٍ، واستقامةٍ، من نِعمِ الله عليه كما يدل عليه قوله تعالى:يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ[6]

يبدأ إخوانه بالتحية، ولو كان عند الناس أنَّه أعلى منهم قدرًا؛ لأنَّه يعلم أنَّ هذه التحية سبب لدخول الجنة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا

---

[1] الحجرات: 1

[2] رواه البخاري ومسلم (17/1، 67/1) في صحيحهما

[3] رواه مسلم في صحيحه (1986/4).

[4] رواه مسلم في صحيحه (93/1)

[5] الحجرات: 12

[6] الحجرات :17

تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)[1]

طلْق المحيَّا، يقابل إخوانه بالابتسامة وطلاقة الوجه؛ تعبُّدًا لله، مستحضرًا قولَ النبي – صلى الله عليه وسلم –: (لا تحقرن مِن المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بِوَجْهٍ طَلْقٍ)[2]

يعلم أنه بحسن خلقه يدرك درجة الصائم القائم.

إذا رأى مَن عليه آثارُ المعاصي تذكَّرَ أنَّ الأعمالَ بالخواتيم، وأنَّ الهدايةَ بيد الله، فخاف على نفسه من سوءِ الخاتمةِ، واستعاذ بالله من الحَورِ بعد الكورِ، وتذكَّرَ نعمةَ اللهِ عليه، فربما كان في وقت من الأوقات أسوأَ حالاً من هذا العاصي} كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ [3]

فعندما طهَّر قلبَه استقام لسانُه، فلا يتكلم إلا بخير، يَزِنُ كلامَه قبل أن يتكلمَ به؛ لأنَّه يعلمُ أن أقوالَه من أعمالِه، متذكرًا قوله – صلى الله عليه وسلم –: (مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا، أو ليصمت)[4]

عالمًا أنَّ اللسانَ دليلٌ على صلاحِ القلب أو فسادِه؛ لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ، حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه، حتى يستقيمَ لسانُه)[5]

---

[1] رواه مسلم في صحيحه (74/1)

[2] رواه مسلم في صحيحه (2026/4)

[3] النساء:94

[4] رواه البخاري ومسلم (129/13، 68/1)في صحيحهما

[5] رواه الإمام أحمد بإسناد حسن رقم: 2223

المبحث الأول: علاج أمراض القلوب بالذكر والتلاوة

أولا : تعريف الذكر والتلاوة

لفظ الذكر عام يدخل فيه ذكر الله وتسبيحه وحمده وتلاوة كتابه المجيد وكذا يدخل فيه الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- ومدحه وغيرها.

الذكر:

الذكر لغة: تدور مادّة (ذ ك ر) حول معنيين: الأوّل الذّكورة ضدّ الأنوثة وما شابهها، والثّاني: الذّكر ضدّ النّسيان، يقول ابن فارس: (الذّال والكاف والرّاء) أصلان عنهما يتفرّع كلم الباب، فالمذكر الّتي ولدت ذكرا، والمذكار: الّتي تلد الذّكران عادة والأصل الآخر: ذكرت الشّيء، خلاف نسيته، ثمّ حمل عليه الذّكر باللّسان، ويقولون: اجعله منك على ذكر أي لا تنسه[1]

والذّكر والذّكرى خلاف النّسيان، وكذلك الذّكرة، يقول الشّاعر:

أنّى ألمّ بك الخيال يطيف ... ومطافه لك ذكرة وشعوف [2]

والذّكر يأتي بمعنى الحفظ للشّيء، وهو أيضا الشّيء يجري على اللّسان، ومنه قولهم ذكرت لفلان حديث كذا وكذا، أي قلته له. تقول: ذكره يذكره ذكرا وذكرا.

ومن المجاز: الذّكر: الصّيت يكون في الخير والشّرّ، والذّكر: الثّناء ويكون في الخير فقط ...ورجل مذكور أي يثنى عليه بخير، ومن المجاز؛ الذّكر: الشّرف، ومنه قوله تعالى وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ[3] أي القرآن شرف لك ولهم، وقوله تعالى: وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ[4] أي شرفك.

كما يطلق الذّكر على معان أخر منها: الصّلاة لله تعالى، والدّعاء إليه، ويطلق أيضا على الطّاعة، والشّكر، والدّعاء، والتّسبيح، وقراءة القرآن، وتمجيد الله وتهليله وتسبيحه والثّناء عليه بجميع محامده، والذّكر أيضا: الكتاب الّذي فيه تفصيل الدّين ووضع الملل، وكلّ كتاب من الأنبياء ذكر، ومنه قوله تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [5]، وحمل على خصوص القرآن وحده أيضا [1].

---

[1] المقاييس (2/ 358) .

[2] الصحاح (2/ 664) ، وانظر اللسان «ذكر» . والشّعوف: الولوع بالشيء حتّى لا يعدل عنه.

[3] (الزخرف/ 44)

[4] (الشرح/ 4)

[5] (الحجر/ 9)

وقيل: الذّكر: ما ذكرته بلسانك وأظهرته.

والذّكر بالقلب، يقال: ما زال منّي على ذكر: أي لم أنسه[2]» والذّكرى: كثرة الذّكر، وهو أبلغ من الذّكر، قال تعالى: رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ[3] وقال أيضا: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ والتّذكرة: ما يتذكّر به الشّيء وهو أعمّ من الدّلالة والأمارة، قال تعالى فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ[4] والاستذكار: الدّراسة للحفظ، والتّذكّر: طلب شيء فات واستذكر الرّجل ربط في إصبعه خيطا ليذكر به حاجته. وذكرت الشّيء بعد النّسيان،[5] وتذكّرته، وأذكرته غيري وذكّرته بمعنى، قال الله تعالى: وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ[6] أي ذكر بعد نسيان، وأصله اذتكر فأدغم[7]

واصطلاحا:

التّخلّص من الغفلة والنّسيان «4» ويقول الرّاغب: «الذّكر تارة يقال ويراد به هيئة للنّفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وتارة يقال لحضور الشّيء القلب أو القول، ولذلك قيل الذّكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللّسان»[8]

منزلة الذكر:

يبيّن ابن القيّم منزلة الذّكر وأهميّته فيقول:

وهي منزلة القوم الكبرى الّتي منها يتزوّدون، وفيها يتّجرون، وإليها دائما يتردّدون.

والذّكر منشور الولاية الّذي من أعطيه اتّصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الّذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا، وعمارة ديارهم الّتي إذا تعطّلت عنه صارت بورا، وهو سلاحهم الّذي

---

[1] تاج العروس للزبيدي (6/ 376- 378) ، وقارن باللسان «ذكر» ، والقاموس المحيط (2/ 36)

[2] اللسان «ذكر» (4/ 308) (ط. بيروت)

[3] مدارج السالكين (2/ 451) .

[4] (المدثر/ 49)

[5] مدارج السالكين (2/ 451) .

[6] (يوسف/ 45)

[7] اللسان «ذكر» (4/ 309) (ط. بيروت) .

[8] المفردات للإمام الراغب الأصفهاني (179) .

يقاتلون به قطّاع الطّريق، وماؤهم الّذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الّذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسّبب الواصل؛ والعلاقة الّتي كانت بينهم وبين علّام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... فنترك الذّكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلّهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النّوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنّتهم الّتي فيها يتقلّبون.. يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا، ويوصّل الذّاكر إلى المذكور، بل يدع الذّاكر مذكورا.

وفي كلّ جارحة من الجوارح عبوديّة مؤقّتة.

والذّكر عبوديّة القلب واللّسان وهي غير مؤقّتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كلّ حال قياما وقعودا، وعلى جنوبهم، فكما أنّ الجنّة قيعان، وهو غراسها فكذلك القلوب بور خراب، وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلّما ازداد الذّاكر في ذكره استغراقا.

ازداد المذكور محبّة إلى لقائه واشتياقا.. به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظّلمة عن الأبصار. زيّن الله به ألسنة الذّاكرين،[1] كمازيّن بالنّور أبصار النّاظرين، فاللّسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصّمّاء، واليد الشّلّاء. وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته[2].

درجات الذّكر:

قال ابن القيّم عن درجات الذّكر: «وهو على ثلاث درجات:

الدّرجة الأولى: الذّكر الظّاهر ثناء أو دعاء أو رعاية» .

فأمّا ذكر الثّناء فنحو «سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلّا الله والله أكبر» .

وأمّا ذكر الدّعاء فنحو رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ[3]

---

[1] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (5 / 1963):

[2] مدارج السالكين (2/ 440- 441) .

[3] الأعراف : 23

وأمّا ذكر الرّعاية فمثل قول الذّاكر «الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي» .

الدّرجة الثّانية: الذّكر الخفيّ وهو الخلاص من القيود، والبقاء مع الشّهود، ولزوم المسامرة.

الدّرجة الثّالثة: الذّكر الحقيقيّ، وهو شهود ذكر الحقّ إيّاك، والتّخلّص من شهود ذكرك» .

وقد سمّي هذا الذّكر حقيقيّا؛ لأنّه منسوب إلى الرّبّ تعالى فذكر الله لعبده هو الذّكر الحقيقيّ، وهو شهود ذكر الحقّ عبده [1] ... إلخ.

قال ابن حجر– رحمه الله تعالى–: والمراد بالذّكر: الإتيان بالألفاظ الّتي ورد التّرغيب في قولها، والإكثار منها، مثل الباقيات الصّالحات، وهي:

«سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر» وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة [2] والاستغفار ونحو ذلك. والدّعاء بخيري الدّنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم، والتّنفّل بالصّلاة، ثمّ الذّكر يقع تارة باللّسان ويوجر عليه النّاطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط ألّا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النّطق الذّكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذّكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النّقائص عنه ازداد كمالا. فإن وقع ذلك في عمل صالح ممّا فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالا، فإن صحّ التوجّه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقال الفخر الرّازيّ: المراد بذكر اللّسان الألفاظ الدّالّة على التّسبيح والتّحميد والتّمجيد.

والذّكر بالقلب: التّفكّر في أدلّة الذّات والصّفات وفي أدلّة التّكاليف من الأمر والنّهي حتّى يطّلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله. والذّكر بالجوارح، هو أن تصير مستغرقة في الطّاعات ومن ثمّ سمّى الله الصّلاة ذكرا فقال فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ [3] .[4] ونقل عن بعضهم، قال: الذّكر على سبعة أنحاء:

---

[1] مدارج السالكين (2452– 453) .

[2] الحسبلة: هي قول الذاكر: حسبي الله ونعم الوكيل.

[3] (الجمعة/ 9)

[4] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (5 / 1964):

فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللّسان بالثّناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرّجاء، وذكر الرّوح بالتّسليم والرّضاء[1]

وقال ابن القيّم- رحمه الله-: وذكر الله يتضمّن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثّناء عليه بأنواع المدح. وذلك لا يتمّ إلّا بتوحيده. فذكره الحقيقيّ يستلزم ذلك كلّه ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه[2]

وقال أبو الفرج ابن الجوزيّ: الذّكر يقال على وجهين: أحدهما الذّكر بالقلب. والثّاني: الذّكر باللّسان. وهو في الموضعين حقيقيّ، ويستعار في مواضع تدلّ عليها القرينة[3]

معاني كلمة الذكر في القرآن الكريم:

ذكر أهل التّفسير أنّ الذّكر في القرآن على أوجه منها:

أحدها: الذّكر باللّسان. ومنه قوله تعالى في (البقرة/ 200) : فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً وغيرها.

الثّاني: الذّكر بالقلب: ومنه قوله تعالى في (آل عمران/ 135) : وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وقيل هو النّدم.

نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (5 / 1965):

الثّالث: الحديث. ومنه قوله تعالى في (يوسف/ 42) : اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ. ومثله:

وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ (مريم/ 41) ، وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسى (مريم/ 51) .

الرّابع: الخبر. ومنه قوله تعالى في (الكهف/ 83) : قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً.

الخامس: العظة. ومنه قوله تعالى في (الأنعام/ 44) : فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ.

---

[1] فتح الباري (11/ 212- 213)

[2] الفوائد (174) .

[3] نزهة الأعين النواظر (301) .

السّادس: الوحي. ومنه قوله تعالى في (الصّافات/ 3) : فَالتَّالِياتِ ذِكْراً.

السّابع: القرآن. ومنه قوله تعالى في (الأنبياء/ 50) : وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ.

الثّامن: التّوراة والكتب السّابقة. ومنه قوله تعالى في (النّحل/ 43) : فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ.

التّاسع: الشّرف. ومنه قوله تعالى في (الزخرف/ 44) : وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ.

العاشر: الطّاعة. ومنه قوله تعالى في (البقرة/ 152) : فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ. أي أطيعوني أغفر لكم.

الحادي عشر: البيان. ومنه قوله تعالى في (الأعراف/ 63) : أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ.

الثّاني عشر: الصّلوات الخمس. ومنه قوله تعالى في (البقرة/ 239) : فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ.

الثّالث عشر: صلاة الجمعة. ومنه قوله تعالى في سورة (الجمعة/ 9) : فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ.

الرّابع عشر: صلاة العصر. ومنه قوله تعالى في (ص/ 32) : إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي.....)

الخامس عشر: الرّسول. ومنه قوله تعالى في (الطّلاق/ 10، 11) : قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولًا قيل: إنّ أنزل هاهنا بمعنى أرسل.

وهذه الآيات الّتي استشهد بها لهذه المعاني تحتملها وغيرها [1]

وقال ابن القيّم: جاء الذّكر في القرآن على عشرة أوجه:

الأوّل: الأمر به مطلقا ومقيّدا وذلك كقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا[2]

---

[1] نزهة الأعين النواظر (302- 306) ، ونحوه في بصائر ذوي التمييز (3/ 13- 15) .

[2] (الأحزاب/ 41- 42) .

الثّاني: النّهي عن ضدّه من الغفلة والنّسيان كقوله تعالى وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ [1]

الثّالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته كقوله تعالى: وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [2]

الرّابع: الثّناء على أهله، والإخبار بما أعدّ الله لهم من الجنّة والمغفرة، كقوله تعالى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ ... إلى قوله تعالى: وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً [3]

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره. كقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ[4]

السّادس: أنّه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له، كقوله تعالى: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ[5]

السّابع: الإخبار أنّه أكبر من كلّ شيء، كقوله تعالى: اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ وَأَقِمِ الصَّلاةَ.. إلى قوله تعالى: وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ[6]

الثّامن: أنّه جعله خاتمة الأعمال الصّالحة كما كان مفتاحها، وذلك كما ختم به الحجّ في قوله تعالى: فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً [7]، وختم به الصّلاة كقوله فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِكُمْ[8] وختم به الجمعة كقوله تعالى: فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[9].

التّاسع: الإخبار عن أهله بأنّهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنّهم أولو الألباب دون غيرهم كقوله تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ [10]

---

[1](الأعراف/ 205) .

[2](الجمعة/ 10) .

[3](الأحزاب/ 35) .

[4](المنافقون/ 9) .

[5](البقرة/ 152) .

[6](العنكبوت/ 45) .

[7]البقرة/ 200)

[8](النساء/ 103) .

[9](الجمعة/ 10)

[10](آل عمران/ 190- 191) ..

العاشر: أنّه جعله قرين جميع الأعمال وروحها، فقد قرنه بالصّلاة كقوله تعالى: وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي[1] ، وكذلك قرنه بالصّيام وبالحجّ وغيرها[2].

[للاستزادة: انظر صفات: التسبيح- التكبير التهليل- الثناء- الدعاء- الشكر- الحمد- الحوقلة- التقوى- الطمأنينة.

وفي ضد ذلك: انظر صفات: الإعراض- الغفلة- اللغو- اللهو واللعب- اتباع الهوى- الغرور- الكبر والعجب- الضلال- السخط] [3].

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ[4]

11- وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً (45) وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (46) نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً[5]

وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ [6]

الذكر بالقلب:

كما في قوله تعالى:وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا

---

[1](طه/ 14)

[2]مدارج السالكين (2/ 441- 444) .

[3] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (5 / 1969):

[4] الأنفال: 3-5

[5] الإسراء:45- 47

[6] الزمر:45

اللَّهَ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ[1]»

وقوله تعالى:اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ[2]

الأحاديث الواردة في (الذكر):

5-والذكر إذا يكون بخشية القلب وحضوره فيؤثر على الذاكر ويتقيه وينقاده من الرزائل والغلائظ وقسوة القلب ويحصل له الاطمئنان ويدخل في السلامة كما قال تعالى: ﴿الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[3] فلا يبقى أثره مقيدا على الذاكر محض بل لا بد أن يؤثر على الآخرين ويستفاد به الإنس والجان والحيوانات والمخلوقات الأخرى كما كان حال النخلة التي كان يخطب عندها النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما جعلت المرأة منبرا للرسول -صلى الله عليه وسلم- فصاحت النخلت كما جاء في الحديث والذاكر يؤثر بهما السامع (عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أنّ امرأة من الأنصار، قالت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه؟، فإنّ لي غلاما نجّارا. قال: «إن شئت» . فعملت له المنبر. فلمّا كان يوم الجمعة قعد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على المنبر الّذي صنع فصاحت النّخلة الّتي كان يخطب عندها حتّى كادت أن تنشقّ، فنزل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حتّى أخذها فضمّها إليه، فجعلت تئنّ أنين الصّبيّ الّذي يسكّت حتّى استقرّت. قال: «بكت على ما كانت تسمع من الذّكر») [4]

(عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدريّ- رضي الله عنهما- أنّهما شهدا على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال:«لا يقعد قوم يذكرون الله- عزّ وجلّ- إلّا حفّتهم الملائكة، وغشيتهم الرّحمة، ونزلت عليهم السّكينة، وذكرهم الله فيمن عنده») [5]

---

[1] آل عمران: 133-136

[2] العنكبوت: 46

[3] الرعد:28

[4] رواه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 408) رقم (558) .

[5](2) رواه البخاري في صحيحه - الفتح 8 (4521) ، وفي بعض طبعات البخاري: إذا أفاضوا، ويبيتون بدلا من يتبرّر.

(عن أبي موسى- رضي الله عنه- قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مثل الّذي يذكر ربّه والّذي لا يذكر ربّه مثل الحيّ والميّت») [1]

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في (الذكر)

1-* (قال أبو بكر- رضي الله عنه-:«ذهب الذّاكرون الله بالخير كلّه») [2]

2-* (عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- قال: «يطوف الرّجل بالبيت ما كان حلالا حتّى يهلّ بالحجّ، فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسّر له هديه من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسّر له من ذلك أيّ ذلك شاء، غير إن لم يتيسّر له فعليه ثلاثة أيّام في الحجّ، وذلك قبل يوم عرفة، فإن كان آخر يوم من الأيّام الثّلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه، ثمّ لينطلق حتّى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظّلام ثمّ ليدفعوا من عرفات، فإذا أفاضوا منها حتّى يبلغوا جمعا الّذي يتبرّر فيه، ثمّ ليذكروا الله كثيرا، أو أكثروا التّكبير والتّهليل قبل أن تصبحوا، ثمّ أفيضوا فإنّ النّاس كانوا يفيضون، وقال الله تعالى ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (البقرة/ 199) حتّى ترموا الجمرة») [3]

3-* (**قال أبو الدّرداء**- رضي الله عنه-:«لكلّ شيء جلاء، وإنّ جلاء القلوب ذكر الله- عزّ وجلّ- ») [4]

4-* (قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- «إنّ الجبل لينادي الجبل باسمه يا فلان هل مرّ بك أحد ذكر الله- عزّ وجلّ-؟ فإذا قال نعم استبشر») *[5]

5-* (قال ابن عبّاس- رضي الله عنهما-:«الشّيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس») [6]

6-* (قال معاذ بن جبل- رضي الله عنه-:«ما عمل العبد عملا أنجى له من عذاب الله، من ذكر الله») [1]

---

[1] شعب الإيمان (1/ 396) برقم (523) ، والوابل الصيب (60) .

[2] ذكره ابن كثير في تفسير سورة الأحزاب (3/ 503)

[3] رواه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 412) رقم (568) .

[4] المصدرالسابق (1/ 437) رقم (634) .

[5] الترمذي (5/ 551) تعقيبا على حديث: «رغم أنف رجل» .

[6] المصدر السابق (70) .

7-* (قال كعب بن مالك- رضي الله عنه:«من أكثر ذكر الله برأ من النّفاق») [2]

8-* (قال ابن عبّاس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً [3]:إنّ الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلّا جعل لها حدّا معلوما ثمّ عذر أهلها في حال العذر، غير الذّكر فإنّ الله تعالى لم يجعل له حدّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلّا مغلوبا على تركه فقال: فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِكُمْ (النساء/ 103) بالليل والنّهار في البرّ والبحر، وفي السّفر والحضر، والغنى والفقر، والسّقم والصّحّة، والسّرّ والعلانية، وعلى كلّ حال») [4]

(من فوائد (الذكر)

قال ابن القيّم- رحمه الله-: في الذّكر أكثر من مائة فائدة منها :[5]

أذكر بعض الوائد هنا باختصار لصيانة تطويل الكلام:

(1) محفوظ من الشيطان للذكر.

(2) يرضي الله تعالي بعبده للذكر.

(3) يزيل الحزن للذكر وجاء الفرح والسرورللقلب و يقوّي القلب والبدن.

(4) أنّه يجلب الرّزق.

(5) أنّه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة.

(6) أنّه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى:فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ [6]. ولو لم يكن في الذّكر إلّا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفا.

(7) أنّه يحطّ الخطايا ويذهبها.

---

[1]) الفوائد للشيخ ابن القيم الجوزي (176) .

[2]المصدر السابق (260) .

[3]الأحزاب/ 41)

[4]نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (5 / 2010):

[5]لفظ فائدة هنا يشمل أمرين: الأول فائدة للذكر والآخر فائدة عن الذكر، وقد ذكر من النوع الأول ثلاثا وسبعين، ومن النوع الثاني خمس فوائد، ولذلك قال- رحمه الله تعالى- في الذكر ولم يقل للذكر.

[6](البقرة: 152)

(8) أنّه سبب اشتغال اللّسان عن الغيبة والنّميمة والكذب والفحش والباطل.

(9) أنّ الذّكر رأس الشّكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.

(10) أنّ الذّكر يوجب صلاة الله- عزّ وجلّ- وملائكته على الذّاكر، ومن صلّى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كلّ الفلاح وفاز كلّ الفوز[1].

(11) الملائكة تبني للذّاكر دورا في الجنّة ما دام يذكر، فإذا أمسك عن الذّكر، أمسكت الملائكة عن البناء.

(12) الملائكة تستغفر للذّاكر كما تستغفر للتّائب.

(13) كثرة الذّكر أمان من النّفاق، فإنّ المنافقين قليلو الذّكر لله تعالى، كما أخبر عنهم سبحانه بقوله وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا[2]

(14) الذّكر يجعل الدّعاء مستجابا [3]

ثانيا: كيفية العلاج بالذكر والتلاوة

كما لايخفى بان جعل الله سبحانه وتعالى الذكر والتلاوة علاجاً أساسيا لمعظم أمراض القلوب وجعل فيه اطمئنان القلوب وسلامتها كما قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[4] ففي هذه الآية أشار الله سبحانه وتعالى إلى أهم الأعمال الصالحة وأفضلها ألا وهو ذكر الله سبحانه وتعالى ويقول بعض المدققين أن في الآيات: يتم الكلام عند قوله تعالى : { مَنْ أَنَابَ }[5] ثم قيل : { الذين ءامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ } [الرعد : 28] في مقابلة { وَيَقُولُ الذين كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ } [الرعد : 27] وقوله سبحانه : { أَلاَ بِذِكْرِ الله } [الرعد : 28] جملة اعتراضية تفيد كيف لا تطمئن قلوبهم به ولا اطمئنان للقلب بغيره ، وقوله عز وجل : { الذين كَفَرُواْ } بدل من الأول ، وفيه إشارة إلى أن ذكر الله تعالى أفضل الأعمال الصالحة بل هو كلها و { طوبى لَهُمْ } خبر الأول

---

[1]انظر : نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (5 / 2013)

[2](النساء/ 142) .

[3]انظر:تلخيص وتصرف عن صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص 82- 153، وقد ذكر ابن القيم- رحمه الله تعالى- ثلاثا وسبعين، واستخلصنا الفائدة الرابعة والسبعين مما ذكره عن الذكر والدعاء وأيهما أفضل.

[4][الرعد: 28]

[5][الرعد : 27]

فيتم التقابل بين القرينتين-[1] وكذا قال تعالى في القرآن الكريم بأن ذكره هو أكبر الأعمال وأفضلها كما قال تعالى: وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45) الرعد: 45 أي ولذكر العبد لله تعالى أكبر من سائر أعماله [2]

عندما يذكر العبد ربه –سبحانه وتعالى– فالعبد يرتقي ويرفع درجاته بالتدريج ويذهب من قلبه أمراضه ويبتعد منه أوصاف غليظة كما يبدل الله السيئات بالحسنات كذا يبدل الله وينقلب قلوب الناس بأحسن أحوالها ويوفقها بأن يتصف بأوصاف الله –سبحانه وتعالى– وبعد استمرار على الذكر يأتي وقت حيث يصل العبد إلى درجة يصبح قلبه مطمئنا وسليما ويصل إلى الحق وفي ذلك ذكر الآلوسي أوجه لاطمئنان القلب وعلاجها من أوصاف غليظة ([3]).

استمرار بالذكر:

والذي يريد علاج قلبه بالذكر عليه أن يستمر في ذكر الله سبحانه وتعالى لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يحث الناس على الاستمرار في العبادة ولو كان قليل. وكذلك أهل الذكر والتصوف يقولون بان الاستقامة فوق الكرامة والذاكر الذي يستمر في العبادة والذكر فهو يحصل على الإفادة دائمة واطمئنان دائم وكذلك يزيد اطمئنانه ويذهب ما في قلبه من الأمراض كالشك والريب والنفاق وغيره . ويقول العلامة الآلوسي في الآية ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ العدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد المنزل من الذكر[4].

الاهتمام بآداب الذّكر:

على الذاكر أن يهتم بأداب الذكر لأن العبد إذا يراعي الآداب فيصل بالسرعة إلى مقصوده ألا وهو تزكية قلبه ونفسه وآداب الذي ينبغي ان يراعيها الذاكر هي : ينبغي أن يكون الذّاكر على أكمل الصّفات، فإن كان جالسا في موضع استقبل القبلة وجلس متخشّعا متذلّلا بسكينة ووقار، مطرقا رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز، ولو كان ذلك (أي ترك الذّاكر ذلك) بغير عذر كان تاركا للأفضل، وينبغي أن يكون الموضع الّذي يذكر فيه خاليا نظيفا[5].

---

[1] تفسير الألوسي (9/ 266)

[2] تفسير الألوسي (15/ 288)

[3] تفسير الألوسي (9/ 265)

[4] تفسير الألوسي (9/ 264)

[5] الأذكار النووية ص 17 - 18.

الإكثار بالذكر:

أحدهما: كثرة الذكر للمحبوب, لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به, ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير, فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً}[1]

الإهتمام بما ورد بطريق المأثور(وخاصة بالتلاوة والصلاة على النبى –صلى الله عليه وسلم–):

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «اقرأ عليّ» قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم «نعم»، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍبِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً ﴾2 قال: «حسبك الآن»، فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرفان[3].

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ :ومن أسباب لين القلب الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن، قال تعالى ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً :بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[4] ، وقال تعالى مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾[5]

الاهتمام بصحبة الصالحين:

ومما يذيب القلب ويذهب قسوته صحبة الذاكرين الصالحين الذين يذكرون ويوصلون عباد الله بالله ويبتعدونهم عن مصاحبة الأشرار والمفسدين الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فإن القلب إذا امتلأ بدخان أنفاس بني آدم أسود وأصابته أعراض أمراض القسوة والغلظة والإعراض والجحود عن ذكر الله تبارك وتعالى قال تعالى ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾.[6]

وذكر أهل التفسير أن سبب توبة الفضيل بن عياض– وكان من قطاع الطريق — أنه عشق جارية فواعدته ليلاً، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ :﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

([1]) سورة الأحزاب – آية 41–42.

[2] النساء: 41

[3] صحيح البخاري: ص1001، برقم 5050، وصحيح مسلم ص313، برقم 800.

[4] الرعد:28

[5] الحشر:31

[6] الكهف:21

لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾،1 فرجع القهقرى وهو يقول: بلى والله قد آن! فآواه الليل إلى خربة2وفيها جماعة من السابلة3 وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلاً يقطع الطريق، فقال الفضيل: أوّاه! أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني، اللهمَّ إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام[4]

---

[1] الحديد:17

[2] خربة: موضع الخراب

[3] السابلة: المارون على الطرقات المترددون في حوائجهم.

[4] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) 256/20

المبحث الثاني: علاج أمراض القلوب بالخوف والرجاء

أولا : تعريف الخوف والرجاء

•فقيل: الخوف توقُّع العقوبة على مجاري الأنفاس.

•وقيل: الخوف قوَّة العلم بمجاري الأحكام.

•وقيل: الخوف هَرَبُ القلب من حلول المكْروه عند استشعاره.

•وقيل: الخوف غمٌّ يلحق النفس؛ لتوقُّع مكروه.

أمَّا الرجاء فقد قال العلماء في حدِّه:

•الرجاء حادٍ يحدو القُلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدَّار الآخرة، ويُطَيِّب لها السير.

•وقيل: هو الاستِبْشار بِجود فضل الربِّ – تبارك وتعالى – والارتياح لمطالعة كرمه – سبحانه.

•وقيل: هو الثِّقة بجود الرب تعالى.

•وقيل: هو النَّظر إلى سعة رحمة الله[1].

ثانيا: كيفية العلاج بالخوف والرجاء

على العبد أن يكون خائفا من ربه، مجانبا للذنوب والمعاصي، فالله سبحانه شديد العقاب غفور رحيم، ومن وسع الله عليه بالنعم والخيرات وهو مقيم على المعاصي آمن من عقاب الله وغضبه فإنه مستدرج به، فلا يأمن مكر الله، وأن يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر قال عز وجل: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ*وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[2]

قال شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: (مكر الله هو أنه إذا عصاه وأغضبه أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه)[3]

فالأمن من مكر الله من المحرمات المنقصة لتوحيد العبد لأنه يؤدي إلى التساهل في المحرمات، ولذا وصف

---

[1] انظر:تفصيل ذلك في "مدارج السالكين" لابن القيم)1/507-513

[2] [القلم/44 – 45] .

[3] حاشية كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: – الطبعة:الثالثة، 1408هـ ، (1/35)

الله أهله بأنهم أهل الخسارة والهلاك فقال سبحانه: -(أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)-[1]

وكذلك القنوط من رحمة الله تعالى من كبائر الذنوب، فيجب على العبد إذا وقع في ذنب وتاب منه، أن لا يقنط من رحمة الله فهو سبحانه تواب رحيم، قال تعالى: -(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)-[2]

وإذا وقع العبد في كربة فلا يستبعد الفرج، فهو سبحانه قدير مجيب الدعوات، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات، -(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)-[3]

فالقنوط من المحرمات المنقصة لتوحيد العبد، لأنه سوء ظن برب العالمين، وجهل برحمة الله وجوده ومغفرته، ولهذا وصف الله أهله بأنهم أهل الضلال الذين أخطئوا طريق الصواب فقال سبحانه: -(وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)-[4] والمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء فلا يغلب جانب الخوف فيقع في كبيرة القنوط من رحمة الله، ولا يغلب جانب الرجاء فيقع في كبيرة الأمن من مكر الله، بل يكون بينهما كالجناحين للطائر، فهو خائف من ربه راج ثوابه، إن وقع في ذنب خاف عقاب الله وإن فعل طاعة رجى ثوابه قال تعالى: -(وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)-[5]

وقال عز وجل: -(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ*أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ*أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ*أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)-[6] اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، فينبغي للعبد عند استكمال العافية والنعمة أن يرجح جانب الخوف، فإنه إذا غلب الرجاء الخوف فسد القلب، وعند المصائب والموت يغلب جانب الرجاء ويحسن الظن بالله عز وجل .

وخوف من ربه العبد ينشأ من أمور، معرفته بالجناية وقبحها، وتصديق الوعيد، وأن الله رتب على

---

[1] [الأعراف/99].

[2] [الزمر/53] .

[3] [البقرة/106] .

[4] [الحجر/56] .

[5] [الإسراء/57] .

[6] [الأعراف/96-99] .

المعصية عقوبتها، وكونه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب، وبهذه الثلاثة يتم له الخوف، وقوته بحسب قوتها وضعفها، وذلك قبل الذنب فإذا عمله كان خوفه أشد، هذا هو الواجب على العبد، وبه تحصل السعادة له في الدنيا والآخرة .

قال ابن القيم رحمه الله: (وأما خوف أوليائه من مكره فحق، فإنهم يخافون أن يخذلهم بذنوبهم وخطاياهم فيصيرون إلى الشقاء، فخوفهم من ذنوبهم، ورجاءهم لرحمته)[1]

وقوله تعالى –(أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ)–[2] إنما هو في حق الكفار والفجار، ومعنى الآية فلا يعصي ويأمن من مقابلة الله له على مكر السيئات بمكره به إلا القوم الخاسرون، والذي يخافه العارفون بالله من مكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال، فيحصل لهم نوع اغترار فيأنسوا بالذنوب فيجيئهم بالعذاب على غرة وفترة .

وأمر آخر، وهو أن يغفل عنه وينسوا ذكره، فيتخلى عنهم إذا تخلوا عن ذكره وطاعته، فيسرع إليهم البلاء والفتنة فيكون مكره بهم تخليه عنهم .

وأمر آخر، وهو أن يعلم من ذنوبهم وعيوبهم مالا يعلمون من نفوسهم فيأتيهم المكر من حيث لا يشعرون .

وأمر آخر أن يمتحنهم ويبتليهم بما لا صبر عليه، فيفتتنون به وذلك مكر

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال: (الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله) رواه البزار .

وعن ابن مسعود قال: (أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله) [3]

فيجب على العبد أن يتوب إلى الله، وإذا تاب العبد من زلّته وعاد إلى ربه تائبا منيبا، فعليه بعدم القنوط من رحمة ربه التي وسعت كلّ شيء .

قال تعالى: –(قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)–[4]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (القنوط بأن يعتقد بأن الله لا يغفر له، إما بكونه إذا تاب لا

---

[1] الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م، عدد الأجزاء: 1 (ص:164)

[2] [الأعراف/99]

[3] رواه عبد الرزاق في مصنفه برقم: 2223

[4] [الحجر/56] .

يقبل توبته وإما أن يقول: نفسه لا تطاوعه على التوبة، بل هو مغلوب معها فهو ييأس من توبة نفسه) والله عز وجل يقول: -(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ*وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ*وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ*وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)-[1]

وهناك أعمال قلبية ومقامات إيمانية تحدو العبد للعمل وتيسر سيره إلى الله وتحثه على المجاهدة والرباط في الطاعة. ومن أهمها مقام الرجاء ومقام الخوف .

والخوف من أجل أعمال القلوب قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). وقال تعالى: (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ). وحقيقة الخوف في قلب المؤمن أن ينزعج قلبه ويضطرب من توقع عقوبة الله وغضبه وانتقامه من ارتكاب محرم أو التفريط في واجب أو الغفلة وأن يشفق من عدم وأن يخاف أن يكون حاله حال أهل النار واستقراره فيهم. والخوف سراج في قلب المؤمن. وقال بعضهم: (ما فارَق الخوفُ قلبًا إلا خَرِب) .

إن الخوف من الله يحمل المؤمن على الكف عن محارم الله وحدوده والحذر الشديد من الوقوع في أسباب سخط الله وغضب الله ولعنة الله فينزجر قلبه عما حرم الله ويتقي بجوارحه من الوقوع في الفواحش والآثام. فالخوف هو السبيل والطريق الذي يمنع المؤمن من الشهوات خشية الوقوع في العقوبة. قال تعالى: (وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ). وقال تعالى: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا). فالخوف المحمود شرعا هو الذي يحث على فعل الصالحات وترك المحرمات أما إذا زاد عن حده أفضى إلى اليأس والقنوط من رحمة الله.

والرجاء أيضا عمل جليل قلبي. قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ). وحقيقة الرجاء في قلب المؤمن هو طمعه في نيل رضا الله ومحبته وثوابه من نعيم الجنة وطمعه في حال أهل الجنة ودخوله فيهم .

إن الرجاء في وعد الله وعطائه يحمل المؤمن على الاستمرار في فعل الطاعات والمسابقة في

---

[1] [الشورى/25-28] .

الخيرات والاجتهاد في استغلال الأوقات فيما يعود عليه بالنفع في الآخرة. فقلبه معلق بنعيم الله وما أعده للمتقين في الآخرة وجوارحه مسخرة في الصالحات فهو يطمع أشد الطمع بالفوز بالجنة والرضا. فالرجاء هو السبيل والطريق الذي يسوق المؤمن ويحدوه لفعل الصالحات .

إن المؤمن ذو القلب الحي إذا قرأ نصوص الوعيد والعذاب وأحوال الكفار والمعاندين والفساق واتصافهم بخزي الدنيا وعذاب الآخرة أصابه القلق والذعر والخوف الشديد من دخوله فيهم. وإذا قرأ نصوص الوعد والرجاء والنعيم وأحوال الأنبياء والمتقين واتصافهم بالذكر الحسن في الدنيا والفلاح في الآخرة طار قلبه فرحا واشتاق لبلوغ الجنة وسأل الله أن يكون منهم. فالعلم بعظم العذاب العقاب يوجب الخوف والعلم بسعة الرحمة يوجب الرجاء ولهذا ثبت في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبةِ ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد).

إن قلب المؤمن ينبغي أن يكون في سيره إلى الله بين مقام الخوف ومقام الرجاء حتى يكون متوازنا في عبادته لا يغلب جانب على جانب فإن دعته نفسه للمعصية تذكر الخوف وإن دعته نفسه لترك العمل ذكرها بالرجاء. قال تعالى في وصف المتقين: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)[1]. وقال تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءانَاء ٱلَّيْلِ سَٰجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّه).[2] فالصالحون يسابقون في الخيرات وهم يطمعون في رحمة الله ويخافون عذاب الله.

إن سير قلب المؤمن بين الخوف والرجاء هو سبيل الأنبياء والسلف الصالح ومنهج أهل السنة الذين يعبدون الله بالمحبة والخوف. قال تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ).[3] أما الاقتصار في العبادة على مقام الخوف أو الاقتصار على مقام الرجاء أو مقام الحب يحدث خللا ظاهرا وانحرافا في السلوك وهو مسلك أهل البدع المخالفين للسنة.

ومن مسالك الناس الخاطئة في هذا الباب أن بعض الناس يسرف على نفسه بالمعاصي فإذا

---

[1] الإسراء:57

[2] الزمر:9

[3] الأنبياء:90

ذكر اتكاً على رجاء الله وقال إن الله غفور رحيم ونسى وتناسى الخوف من عذاب الله وأنه سبحانه كذلك عذابه عذاب أليم. وكذلك فعله ليس برجاء لأن تركه الواجبات وإتباعه الشهوات وتمنيه على الله يعد من الأمن من مكر الله فهو يخادع نفسه. وفي المقابل من يشدد في الدين ويضيق على المسلمين ويقع في اليأس والقنوط فإن ذكر اتكاً على خوف الله ونسي وتناسى سعة رحمة الله وعظيم ثوابه.

الخوف والرَّجاء للمؤمن:

كالجناحيْن بالنِّسبة للطائر، لكنَّه يطير بهما في سماء التعبُّد لربِّه – عزَّ وجلَّ – ولابدَّ من تَحقيق التَّكافؤ والتَّوازُن بين الخوْف والرَّجاء؛ حتَّى تستقيمَ حياة المؤمن في الدُّنيا، ويفوز بالنَّعيم في الآخرة؛ إذ إنَّ تغليب الخوف دون حاجةٍ إليْه يُفضي إلى القنوط، كما أنَّ تغليب الرَّجاء دون حاجة إليه يُفضي إلى الأمن المؤدِّي إلى التفريط.

وحدُّ الاعتدال في ذلك أن تُغلِّب جانبَ الخوْف عند الحاجة إليْه، وتغلِّب جانب الرَّجاء عند الحاجة إليه، فالمرءُ عند كثْرة العصيان مع شدَّة الخوف يَحتاج إلى تغليب الرَّجاء على الخوْف، أمَّا العصيان مع الأمْن، فصاحبُه بِحاجةٍ إلى تغليب جانب الخوف على جانب الرَّجاء.

قال ابن القيِّم: "السَّلف استحبُّوا أن يُقَوِّي في الصِّحَّة جناح الخوْف على جناح الرَّجاء، وعند الخروج من الدُّنيا يقوِّي جناح الرَّجاء على جناح الخوْف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره."

وقال: "ينبغي للقلْب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء فَسَدَ.[1]

الحصول على استقامة القلب :

قال ابن القيم : فاستقامة القلب يحصل بشيئين:

أحدهما :أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب ، فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره ، سبق حب الله تعالى حب ما سواه ، فترتب على هذا مقتضاه ، وما أسهل هذا بالدعوى ، وما أصعبه بالفعل ، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان...

وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع ، أن من أحب شيئا سواه عذب به ولابد ، وأن من خاف غيره سلطه عليه ، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤما عليه ، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه ، ومن

---

[1] مدارج السالكين 1-516-520

أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولابد.

الأمر الثاني :

الذي يستقيم عليه القلب : تعظيم الأمر والنهي ، وهو ناشيء عن تعظيم الآمر الناهي ، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه ، وقال عز وجل: مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً[1]

قالوا في تفسيرها : ما لكم لا تخافون الله تعالى عظمةً [2].

فعلامة التعظيم للأوامر:

-1رعاية أوقاتها وحدودها.

-2والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها.

-3والحرص على تحينها في أوقاتها.

-4والمسارعة إليها عند وجوبها.

-5والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها[3].

ومثل ابن القيم للأمر بمثال وهو الصلاة ، وقال: فكثير من العلماء يقول: لا صلاة له وهو بارد القلب .فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه ، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبدا ميتا ! .. فما ظن العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها...

ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه .. ، ولا يثيبه عليها ، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها.

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى ، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان....

وقال ابن القيم:

وقد يقوى العمل ويتزايد ، حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر كما هو

---

[1] نوح:13

[2] الوابل الصيب من الكلم الطيب للشيخ ابن القيم الجوزية ص 1-8-9وهذه رسالة بعث بها الإمام ابن القيم إلى بعض إخوانه يدور قطب رحاها على بيان فضل ذكر الله - عز وجل -، وعظيم أثره وفائدته، وجليل مكانته ومنزلته، ورفيع مقامه ودرجته، وجزيل الثواب المعد لأهله، المتصفين به، في الآخرة والأولى.

[3] لينظر:الوابل الصيب من الكلم الطيب للشيخ ابن القيم الجوزية (ص 9-10)

مشاهد بالبصر والبصيرة[1].

قال ابن عباس:

"إن للحسنة ضياء في الوجه ، ونورا في القلب ، وقوة في البدن ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سوادا في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهنا فب البدن ، ونقصا في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق [2]"

وقد ذكر الله – تعالى – الخوف مقرونًا بالرجاء في كتابه الكريم في مواضع كثيرة؛ منها قول الله – جلَّ جلاله } :-أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءانَاء ٱلَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو ٱلأَلْبَابِ[3] وقوله تعالى} :ٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ][4] { وقوله تعالى} :نَبِّىء عِبَادِى أَنِّى أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ*وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلأَلِيمُ[5]

وقوله تعالى} :أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً] [6]{وقوله تعالى} :إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا[7]وكما في قوله – سبحانه } :-يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا[8]

وعن أنَسِ بنِ مالكٍ – رضي الله عنه –: أن النبي – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم – دخل على شابٍّ وهو في الموْتِ، فقَالَ: ((كيف تَجِدُكَ؟)) قالَ: واللهِ يا رسولَ اللهِ، إنِّي أَرْجُو اللهَ، وإنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم –: ((لا يَجْتَمِعَانِ في قَلْبِ عَبْدٍ في مِثْلِ هَذا الْمَوْطِنِ؛ إلاَّ أعْطَاهُ اللهُ ما يَرْجُو، وآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ)[9]

---

[1] المصدر السابق : (ص 12)

[2] انظر: المصدرالسابق : (ص30)

[3] الزمر: 9]،

[4] المائدة: 98]،

[5] الحجر: 49، 50.[

[6] الإسراء: 57]،

[7] الأنبياء: 90]،

[8] السجدة: 16

[9] أخرجه التِرمذي وقال: حسن غريب، والنسائي في "الكبرى"، وابن ماجه، وقال الألباني: حسنٌ صحيح "صحيح الترغيب والترهيب" (رقم 3383).

وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((يقول الله – عزَّ وجلَّ –: وعزَّتي، لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجْمع له أمنَين، إذا أمِنَني في الدُّنيا، أخفتُه يوم القيامة، وإذا خافني في الدُّنيا، أمنته يوم القيامة)[1]

عن أبي جحيفة – رضي الله عنْه – قال: قالوا: يا رسول الله، قد شِبت! قال: ((شيَّبتني هود وأخواتها)[2]

ولهذا قال السَّلف – رحمهم الله – كلِمةً مشهورةً، وهي: "مَنْ عبدَ الله بالحبِّ وحده، فهو زنديق، ومَن عبدَه بالخوف وحْده، فهو حروريٌّ – أي: خارجي – ومَن عبدَه بالرَّجاء وحْده، فهو مرجئ، ومن عبدَه بالخوف والحب والرَّجاء، فهو مؤمن موحِّد."

قال ابن القيم: "القلب في سيره إلى الله – عزَّ وجلَّ – بمنزلة الطَّائر؛ فالمحبَّة رأسه، والخوف والرَّجاء جناحاه، فمتى سلِم الرَّأس والجناحان، فالطائر جيِّدُ الطيران، ومتى قطع الرأس، مات الطائر، ومتى فقد الجناحان، فهو عرضة لكل صائدٍ وكاسر."

وعلى التفصيل الذي ذكرنا يُحمل حال مَن غلَّب الخوف على الرَّجاء من سلفِنا الصَّالح، وكذلك من غلَّب الرجاء على الخوف.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي، لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، إن أمنني في الدنيا، أخفته يوم القيامة، وإن خافني في الدنيا، أمنته يوم القيامة[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: عينان لا تمسهما النار أبداً، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله[4].

واعلم أن قول القائل: أيما أفضل الخوف أو الرجاء؟ كقوله: أيما أفضل الخبز أو الماء؟

وجوابه: أن يقال الخبز للجائع أفضل، والماء للعطشان أفضل، فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب، فإن استويا، فهما متساويان، والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب، ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان

---

[1] رواه البيهقي في "شعب الإيمان"(223/2)، وصحَّحه الألباني، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه.(95/2)

[2] رواه الطبراني في المعجم الكبير (148/6)

[3] صحيح ابن حبان (406/2).

[4] سنن الترمذي (227/3).

الغالب على القلب الأمن من مكر الله، فالخوف أفضل، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية، وإن كان الغالب عليه اليأس والقنوط، فالرجاء أفضل، ويجوز أن يقال مطلقاً: الخوف أفضل، كما يقال: الخبز أفضل من السكنجبين لأن الخبز يعالج به مرض الجوع، والسكنجبين يعالج به مرض الصفراء، ومرض الجوع أغلب وأكثر، فالحاجة إلى الخبز أكثر، فهو أفضل بهذا الاعتبار، لأن المعاصي والاغترار من الخلق أغلب.

وإن نظرنا إلى موضع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل، لأن الرجاء يُسقى من بحر الرحمة, والخوف يُسقى من بحر الغضب.

وأما المتقي، فالأفضل عنده اعتدال الخوف والرجاء، ولذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، قال بعض السلف: لو نودي: ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً، لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل. ولو نودي: ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً، لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل. وهذا ينبغي أن يكون مختصاً بالمؤمن المتقي.

فإن قيل: كيف اعتدال الخوف والرجاء في قلب المؤمن، وهو على قدم التقوى؟ فينبغي أن يكون رجاؤه أقوى.

فالجواب: أن المؤمن غير متيقن صحة عمله، فمثله من بذر بذراً ولم يجرب جنسه في أرض غريبة، والبذر الإيمان، وشروط صحته دقيقة، والأرض القلب، وخفايا خبثه وصفائه من النفاق، وخبايا الأخلاق غامضة، والصواعق أهوال سكرات الموت، وهناك تضطرب العقائد، وكل هذا يوجب الخوف عليه، وكيف لا يخاف المؤمن؟

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة رضي الله عنه: هل أنا من المنافقين؟ وإنما خاف أن تلتبس حاله عليه، ويستتر عيبه عنه، فالخوف المحمود هو الذي يبعث على العمل، ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا، وأما عند نزول الموت، فالأصلح للإنسان الرجاء، لأن الخوف كالسوط الباعث على العمل، وليس ثمة عمل، فلا يستفيد الخائف حينئذ إلا تقطيع نياط قلبه، والرجاء في هذه الحال يقوي قلبه، ويحبب إليه ربه، فلا ينبغي لأحد أن يفارق الدنيا إلا محباً لله تعالى، محباً للقائه، حسن الظن به، وقد قال سليمان التيمي عند الموت لمن حضره: حدثني بالرخص، لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظن به.

فإن منزلة الخوف من أجلِّ منازل العبودية، وأنفعها، وهي فرض على كل أحد.

قال الله – تعالى –: (فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[1] وقال: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)[2]

تعريف الخوف:

1- قيل: الخوف توقع العقوبة على مجاري الأنفاس.

2- وقيل: الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام.

3- وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره.

4- وقيل: الخوف غمّ يلحق النفس؛ لتوقع مكروه.[3]

أقسام الخوف:

1- **خوف السر**: وهو خوف التَّألُّه، والتعبد، والتقرب، وهو الذي يزجر صاحبه عن معصية مَنْ يخافه؛ خشيةً من أن يصيبه بما شاء من فقر، أو قتل، أو غضب، أو سلب نعمة، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته. فهذا القسم لا يجوز أن يصرف إلا لله – عز وجل – كما قال قوم هود – عليه السلام – الذين ذكر الله عنهم أنهم خوفوا هودًا بآلهتهم فقالوا: (إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ)[4]

2- **الخوف من وعيد الله**: الذي توعد به العصاة، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، وهو درجات، ومقامات، وأقسام – كما مضى ذكره قبل قليل.

3- **الخوف المحرم**: وهو أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف الناس.

4- **الخوف الطبيعي**: كالخوف من سَبُع، أو عدوٍّ، أو هدم، أو غرق، ونحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري؛ فهذا لا يُذَمُّ، وهو الذي ذكره الله عن موسى – عليه السلام – في قوله – عز وجل.– : (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ)[5] ، وقوله: (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى)[6]

---

[1] [آل عمران: 175]،

[2] [الرحمن: 46].

[3] انظر: مدارج السالكين للشيخ القيم الجوزية (1-508-509)

[4] [هود: 54]

[5] [القصص: 21]

[6] [طه: 16].

5- **الخوف الوهمي**: كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف جداً؛ فهذا خوف مذموم، ويدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ النبي – صلى الله عليه وسلم – من الجبن؛ فهو من الأخلاق الرذيلة. ولهذا فإن خواص المؤمنين وأقوياءهم تنقلب المخاوف في حقهم أمناً وطمأنينة؛ لقوة إيمانهم، ولسلامة يقينهم، وكمال توكلهم (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ(1)[2].

---

[1] [آل عمران: 173 – 174]

[2] انظر: مدارج السالكين 507/1 .، 513 وشروح كتاب التوحيد باب (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه)

المبحث الثالث: علاج أمراض القلوب بالرحمة والرأفة

أولا : تعريف الرحمة والرأفة

الرَّحْمَة لغةً:الرحمة: من رحمة يرحمه، رحمة ومرحمة، إذا رقَّ له، وتعطف عليه، وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقة والعطف والرأفة، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا.

ومنها الرَّحِم: وهي عَلاقة القرابة.

وقد تطلق الرَّحْمَة، ويراد بها ما تقع به الرَّحْمَة،كإطلاق الرَّحْمَة على الرِّزق والغيث .

معنى الرَّحْمَة اصطلاحًا):الرَّحْمَة رقَّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُوم، وقد تستعمل تارةً في الرِّقَّة المجرَّدة، وتارة في الإحسان المجرَّد عن الرِّقَّة.

وقيل: (هي رِقَّة في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه)

وقيل: هي (رِقَّة في القلب، يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو تدرك بالحواس،أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخرأو يلامسها السُّرور حينما تدركالحواس أو تدرك بالحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر"[1]

قيل :الرحمة والرأفة كلمتان مترادفتان في المعنى إلا أن بينهما فرق لطيف, فبينهما عموم وخصوص مطلق, فالرأفة خاصة في دفع المكروه عن المرحوم بينما الرحمة تشمل هذا المعنى وغيره. كما قال ابن عاشور في تفسيره: (والرَّأفة: رِقَّة تنشأ عند حدوث ضر بالمرؤوف به. يقال: رؤوفٌ رحيم. والرَّحْمَة: رقَّة تقتضي الإحسان للمرحوم، بينهما عمومٌ وخصوص مطلق) [2]

الفرق بين الرَّحْمَة والرَّأفة:

وقال القفال: (الفرق بين الرَّأفة والرَّحْمَة: أنَّ الرَّأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضَّرر، كقوله :وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ]النور: 2 [أي: لا ترأفوا بهما فترفعوا الجلد عنهما، وأمَّا الرَّحْمَة فإنَّها اسم جامع، يدخل فيه ذلك المعنى، ويدخل فيه الانفصال والإنعام[3]

---

[1] الأخلاق الإسلامية وأسسها لسعد الرحمن الميداني 2-3 ط بيروت 1422هـ.

[2] التحرير والتنوير لابن عاشور 10-239

[3] مفاتيح الغيب للفخر الدين الرازي 4-239

وقال أبو البقاء الكفوي: (الرَّحْمَة هي أن يوصل إليك المسار، والرَّأفة هي أن يدفع عنك المضار... فالرَّحْمَة من باب التزكية، والرَّأفة من باب التَّخلية، والرَّأفة مبالغة في رحمة مخصوصة، هي رفع المكروه وإزالة الضر، فذكر الرَّحْمَة بعدها في القرآن مطردًا لتكون أعم وأشمل)[1]

وقيل: (الرَّأفة أشد من الرَّحْمَة)، وقيل: (الرَّحْمَة أكثر من الرَّأفة، والرَّأفة أقوى منها في الكيفية؛ لأنَّها عبارة عن إيصال النِّعم صافية عن الألم)[2]

أقسامهما من حيث الغريزة والاكتساب:

يقول العلامة السعدي رحمه الله: (والرحمة التي يتصف بها العبد نوعان:

النوع الأول: رحمة غريزية، قد جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والحنان على الخلق، ففعلوا بمقتضى هذه الرحمة جميع ما يقدرون عليه من نفعهم، بحسب استطاعتهم. فهم محمودون مثابون على ما قاموا به، معذورون على ما عجزوا عنه، وربما كتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم.

والنوع الثاني: رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة، تجعل قلبه على هذا الوصف، فيعلم العبد أن هذا الوصف من أجل مكارم الأخلاق وأكملها، فيجاهد نفسه على الاتصاف به، ويعلم ما رتب الله عليه من الثواب، وما في فواته من حرمان الثواب; فيرغب في فضل ربه، ويسعى بالسبب الذي ينال به ذلك. ويعلم أن الجزاء من جنس العمل. ويعلم أن الأخوة الدينية والمحبة الإيمانية، قد عقدها الله وربطها بين المؤمنين، وأمرهم أن يكونوا إخوانا متحابين، وأن ينبذوا كل ما ينافي ذلك من البغضاء، والعداوات، والتدابر)[3]

---

[1] الكليات 1-247

[2] الفروق اللغوية للإمام العسكري 1-246

[3](بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار)) (270).

ثانيا: كيفية العلاج بالرحمة والرأفة

عندما بصق الرجل على وجه علي فتركه علي لأنه جاء في قلبه شدة وغضب لنفسه وكان يريد قتله لله فلذا تركه، ولما عرف الرجل سبب ترك قتله فأسلم وسلم قلبه وأمن--

أقسامها من حيث المدح والذم:

إن في خلق الرحمة ما هو محمود – وهو الأصل – وما هو مذموم.

أما المحمود: فهو ما ذكرناه آنفاً واستدللنا عليه من كتاب الله وسنة المصطفى صلي الله عليه وسلم بما يغني عن إعادة ذكره هنا.

-وأما المذموم: فهو ما حصل بسببه تعطيل لشرع الله أو تهاون في تطبيق حدوده وأوامره, كمن يشفق على من ارتكب جرماً يستحق به حداً, فيحاول إقالته والعفو عنه, ويحسب أن ذلك من رحمة الخلق وهو ليس من الرحمة في شيء, بل الرحمة هي إقامة الحد على المذنب, والرأفة هي زجره عن غيّه وردُّه عن بغيه بتطبيق حكم الله فيه, قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (إنَّ الْعُقُوبَاتِ الشَّرْعِيَّةَ كُلَّهَا أَدْوِيَةٌ نَافِعَةٌ يُصْلِحُ اللَّهُ بِهَا مَرَضَ الْقُلُوبِ وَهِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ الدَّاخِلَةِ فِي قَوْله تَعَالَى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [الأنبياء:107] فَمَنْ تَرَكَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ النَّافِعَةَ لِرَأْفَةٍ يَجِدُهَا بِالْمَرِيضِ فَهُوَ الَّذِي أَعَانَ عَلَى عَذَابِهِ وَهَلَاكِهِ وَإِنْ كَانَ لَا يُرِيدُ إلَّا الْخَيْرَ إذْ هُوَ فِي ذَلِكَ جَاهِلٌ أَحْمَقُ).([1])

لذا نهى الله تعالى المؤمنين أنْ تأخذهم رأفة أو رحمة في تطبيق حدود الله وإقامة شرعه فقال: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [2]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إنَّ دِينَ اللَّهِ هُوَ طَاعَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ الْمَبْنِيَّ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا؛ فَإِنَّ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ مَا لَمْ تَكُنْ مُضَيِّعَةً لِدِينِ اللَّهِ[3]

---

[1]انظر:مجموع الفتاوى لابن تيمية(15/ 291).

[2][النور: 2]

[3]مجموع الفتاوى (15/ 290).

ومن الرحمة المذمومة ما كانت سببا في فساد المرحوم وهلاكه, كما يفعل كثير من الآباء من ترك تربية الأبناء وتأديبهم وعقوبتهم رحمة بهم, وعطفاً عليهم, فيتسببون في فسادهم وهلاكهم وهم لا يشعرون قال شيخ الإسلام: (مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ الْجُهَّالِ بِمَرْضَاهُمْ وَبِمَنْ يُرَبُّونَهُ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَغِلْمَانِهِمْ وَغَيْرِهِمْ فِي تَرْكِ تَأْدِيبِهِمْ وَعُقُوبَتِهِمْ عَلَى مَا يَأْتُونَهُ مِنْ الشَّرِّ وَيَتْرُكُونَهُ مِنْ الْخَيْرِ رَأْفَةً بِهِمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ فَسَادِهِمْ وَعَذَاوَتِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ) [1]

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه وشقت عليها فهذه هي الرحمة الحقيقية فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ويمنعه شهواته التي تعود بضرره ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم[2]

ثالثا: أثر الرحمة والرأفة على الفرد والمجتمع

الرحيم والرؤف رسالته يُقبل: - (عن عائشة- رضي الله عنها- زوج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّها قالت للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟. قال: ((لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم **يوم العقبة**، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت. وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثّعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ، ثمّ قال: يا محمّد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا[3])

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله: (في هذا الحديث بيان شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على قومه ومزيد صبره وحلمه وهو موافق لقوله تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ[4], وقوله: وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ[5]

---

[1] مجموع الفتاوى (15/ 291).

[2] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزي (2/ 174).

[3] صحيح مسلم: 1420/3)

[4] [آل عمران: 159]

[5] [الأنبياء: 107]).

وبعد مدة عندما رجع النبيﷺ إلى مكة فقبل قلوب الناس رسالته بسعة الصدر ودخلوا في الإسلام فوجا فوجا كما قال تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا }[1]

وكذا كان حاله عند ما سافر إلى الطائف وأهلها لم يقبلوا رسالته أول الأمر لكن بسبب رحمته صلى الله عليه وسلم وعدم دعائه عليهم قبل قلوبهم الإسلام وآمنوا ودخلوا في الإسلام وأخرج الله من أصلابهم رجال عبدوا الله ولايشركون به شيئا.

المحبة بالناس: – وعن عائشة– رضي الله عنها– قالت: ((جاء أعرابيّ إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: تقبّلون الصّبيان فما نقبّلهم، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرّحمة))[2]

الرحيم يحبه الأحجار والأشجار:

–كان النبيﷺ أرحم القلب وأشفق على الخلق كما صرح القرآن به فقال: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } [الأنبياء: 107] ونجد أمثلة التطبيقية في الحديث فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم: ((كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرا؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمه إليه، تئن أنين الصبي الذي يسكن. قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها[3]**يجب له الجنة:** وتُحدثنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن امرأة من الصحابة تجلت فيها أروع صور الرحمة وأعظمها وهي الرحمة بالولد والشفقة عليه .. تقول عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها. فأطعمتها ثلاث تمرات. فأعطت كل واحدة منهما تمرة. ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها. فاستطعمتها ابنتاها. فشقت التمرة، التي كانت تريد أن تأكلها، بينهما. فأعجبني شأنها. فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال ((إن الله قد أوجب لها بها الجنة. أو أعتقها بها من النار[4]

جمع الناس حوله: أن الله جعل هذه الصفة خلق لصفوة خلقه وخيرة عباده وهم الأنبياء والمرسلين, ومن سار على نهجهم من المصلحين, فقد قال الله تعالى ممتناً على رسوله صلى الله عليه وسلم على ما ألقاه في قلبه من فيوض الرحمة جعلته يلين للمؤمنين ويرحمهم ويعفو عنهم, ويتجاوز عن

---

[1][النصر: 1، 2]

[2]رواه البخاري ، رقم الحديث(5998).

[3]رواه البخاري ، رقم الحديث (3584).

[4]رواه مسلم ، رقم الحديث (2630) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أخطائهم: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ[1] أي فبسبب رحمة من الله أودعها الله في قلبك يا محمد، كنت هينا لين الجانب مع أصحابك، مع أنهم خالفوا أمرك وعصوك[2]

فوائد الرحمة وآثارها

للتحلي بخلق الرحمة فوائد عظيمة وثمار جليلة, فما إن يتحلى المؤمن بهذه الحلية ويتجمل بهذه السجية حتى تظهر آثارها وتؤتي أكلها .. ليس عليه فقط بل عليه وعلى من حوله, وسنعرض لبعض هذه الآثار والفوائد إجمالاً, فمن ذلك:

1. أنها سبب للتعرض لرحمة الله, فأهلها مخصوصون برحمته جزاء لرحمتهم بخلقه.

2. ومن أعظم ثمارها أن المتحلي بها يتحلى بخلق تحلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3. أن من ثمارها محبة الله للعبد, ومن ثم محبة الناس له.

4. أنها ركيزة عظيمة ينبني عليها مجتمع مسلم متماسك يحس بعضه ببعض, ويعطف بعضه على بعض, ويرحم بعضه بعضاً.

5. أنها تشعر المرء بصدق انتمائه للصف المسلم, إذ أن من لا يرحم لا يستحق أن يكون فرداً في المجتمع أو جزء منه لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا[3]

6. على قدر حظ الإنسان من الرحمة تكون درجته عند الله تبارك وتعالى, لذا كان الأنبياء هم أشد الناس رحمة, وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أوفرهم حظاً منها.

7. أنها سبب لمغفرة الله تبارك وتعالى وكريم عفوه, كما أن نقيضها سبب في سخطه وعذابه.

8. أن في الاتصاف بها دليل على أن الإسلام دين رحمة للبشرية لا كما يقول أعداؤه أنه دين يقوم على العنف وسفك الدماء.

9. ومن أعظم فوائدها أنها خلق متعدٍ إلى جميع خلق الله من إنسان أو حيوان, بعيد أو قريب, مسلم أو غير مسلم.

10. أنها سبب للالتفات إلى ضعفة المجتمع من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والكبار والعجزة, فمجتمع يخلو من هذا الخلق لا يلتفت فيه إلى هؤلاء ولا يهتم بشأنهم.

---

[1] [آل عمران: 159].

[2] انظر :صفوة التفاسير للصابوني (1/ 154).

[3] رواه الترمذي (321/4)، وأحمد (2/ 185) (6733) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وصححه السيوطي في (الجامع الصغير) (7692)، وصححه الألباني في (صحيح الجامع) (5444).

وغير ذلك من الفوائد العظيمة التي يجنيها المجتمع المسلم من هذا الخلق الكريم.

المبحث الرابع: علاج أمراض القلوب بالتذكر والاعتبار بالآخرين

أولا : تعريف بالتذكر والاعتبار بالآخرين:

ومما يذيب قسوة القلب زيارة المقابر وتذكر الموت والتفكر في الدنيا وزوالها والانتقال منها إلى الدار الآخرة يقول النبي صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فإنها تذكر بالآخرة يقول الله جل جلاله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1].فلو زرنا المقابر ووقفنا على القبور وتفكرنا في أحوال أهل القبور لرقت قلوبناولو زرنا المستشفيات ورأينا أحوال المرضى وما يقاسونه من الأوجاع والآلام لذابت وحشة صدورنا.ولو نظرنا إلى الفقراء والأيتام والبؤساء وما هم فيه من الحاجة والمجاعة لتغيرت نفوسنا يقول أَبُو هُرَيْرَةَ : شَكَا رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: ((إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ [2]

وكذلك زيارة المقابر والمرضى، والزهد في الدنيا وتذكر الموت والآخرة، وابن ماجه من حديث أبي هريرة «رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة.[3]

قال:" وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم [4] اذكروا هاذم اللذات يعني الموت، وفي رواية قال «فما ذكره عبدٌ قطّ وهو في ضيق إلا وسعه عليه، ولا ذكره وهو في سعة إلا ضيقه عليه[5]

ثانيا: كيفية العلاج بالتذكر والاعتبار بالآخرين:

المراد بذكر الله دلائله سبحانه الدالة على وحدانيته عز وجل والاطمئنان عن قلق الشك والتردد ، وهذا مناسب لذكر الكفر ووقوعه في مقابلته[6]

نموذج من القرآن الكريم ذكر الله تبارك وتعالى قصص الأمم السابقة للتذكرة والاعتبار أهل القرى (أهل مكة) {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا

---

[1] يونس:11

[2] رواه أحمد في مسنده (337/7)وحسنه الألبانيّ.

[3] رواه مسلم مسلم في صحيحه رقم الحديث :2310

[4] رواه الترمذي في سننه ص 381، برقم الحديث 2307، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب

[5] أخرجها ابن حبان في صحيحه، ص 534، برقم 2982

[6] تفسير الألوسي (9/ 264، بترقيم الشاملة آليا)

فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (100) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ [1]

والثاني: مطالعة آلائه ونعمائه, قال تعالى: {فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[2] وقال تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ}[3] وقال تعالى: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}[4]وقال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا}[5]

فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه, من تسخير السماء والأرض, وما فيها من الأشجار والحيوان, وما أسبغ عليه من النعم الباطنة, من الإيمان وغيره, فلابد أن يثير ذلك عنده باعثًا , وكذلك الخوف؛ تحركه مطالعة آيات الوعيد, والزجر, والعرض, والحساب ونحوه, وكذلك الرجاء , يحركه مطالعة الكرم, والحلم, والعفو, وما ورد في الرجاء والكلام في التوحيد واسع

وإنما الغرض التنبيه على تضمنه الاستغناء بأدنى إشارة, والله – سبحانه وتعالى – أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.[6]

ثالثا: أثر التذكر والاعتبار بالآخرين على الفرد والمجتمع

موسوعة فقه القلوب 1-631

فقه الفكر والاعتبار:

كانت الصحابة يفكرون ويدبرون في ما يحدث مع الآخرين من الخير والشر وما يلاقون من الفوائد والنقصان ففي حياتهم الباقية كانوا يضعون عمل الآخرين ونتائجه نصب عينيه وكانوا يعتبرون به كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن «أنسٍ رضي الله عنه قال: كنّا

---

[1] [الأعراف: 96 - 101]

(2) سورة الأعراف – آية 69.

(3) سورة النحل – آية 53.

(4) سورة لقمان – آية 20.

(5) سورة إبراهيم – آية 34وسورة النحل – آية 18

(6) مجموع فتاوى شيخ الإسلام إبن تيمية 95/1

يومًا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن من هذا الفجّ رجلٌ من أهل الجنّة قال: فطلع رجلٌ من الأنصار تنطف لحيته من وضوءٍ قد علّق نعليه في يده الشّمال فسلّم فلمّا كان الغد قال النّبيّ ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرّجل على حاله فلمّا كان اليوم الثّالث قال النّبيّ ﷺ مقالته فطلع ذلك الرّجل على مثل حاله فلمّا قام النّبيّ ﷺ اتّبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: إنّي لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتّى تمضي الثّلاث فعلت قال: نعم قال أنسٌ رضي الله عنه فكان عبد الله يحدّث أنّه بات عنده ثلاث ليالٍ فلم يره يقوم من اللّيل شيئًا؛ غير أنّه إذا تعارّ وانقلب على فراشه ذكر الله عزّ وجلّ وكبّر حتّى يقوم إلى صلاة الفجر فقال عبد الله غير أنّي لم أسمعه يقول إلّا خيرًا فلمّا فرغنا من الثّلاث وكدت أن أحقّر عمله قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضبٌ ولا هجرةٌ ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرّاتٍ يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنّة فطلعت أنت في الثّلاث المرّاتٍ فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي بذلك فلم أرك تعمل كثير عملٍ فما الّذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال: ما هو إلّا ما رأيت غير أنّي لا أجد على أحدٍ من المسلمين في نفسي غشًّا ولا حسدًا على خيرٍ أعطاه الله إيّاه قال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لانطيق.[1]

2- حَدَّثَنَا هَنَّادٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا [ص:449] جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ» : وَفِي البَابِ عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَعَائِشَةَ، وَأَبِي ذَرٍّ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَهَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَنَسٍ، وَرَوَى بَعْضُهُمْ عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدِيثُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ أَنَسٍ أَصَحُّ[2]

3- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ القَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ،

---

[1] رواه الترمذي في سننه (4 / 448)

[2] رواه الترمذي في سننه (5 / 434)

فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[1] «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[2]

4-حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدِّمَشْقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ سُمَيْعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَفْطَسُ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَرَشِيِّ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: صَدَقَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكَنَا وَاللَّهِ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»[3].

6- حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْمَرَّارُ بْنُ حَمُّوَيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَتَيِ الْعِيدَيْنِ مُحْتَسِبًا لِلَّهِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ»[4]

7- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ رُزَيْقٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، يَشْهَدَانِ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَغَشَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[5]

---

[1] [المطففين: 14].

[2] رواه ابن ماجه في سننه (1 / 4)

[3] رواه ابن ماجه في سننه (1 / 567)

[4] رواه ابن ماجه في سننه (2 / 1245)

[5] رواه ابن ماجه في سننه (2 / 1418)

8- هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ، زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[1])[2]

فهذه الأحاديث كلها تدل على أثر التذكر والاعتبار بالآخرين على الفرد والمجتمع .

---

[1][المطففين: 14]

[2]جامع معمر بن راشد(منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) (10 / 442) رقم:4442 المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت ط: الثانية، 1403هـ.

الخاتمة

الخاتمة

وهي تشتمل على أهم نتائج البحث:

لقد توصل الباحث من خلال البحث إلى نتائج عديدة أهمها فيما يلي :

- إن الله ذكر القلوب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة في اثنين وثلاثين ومائة موضع، في ثلاث وأربعين سورة، في أربع وعشرين ومائة آية منها, وبين خلال تلك الآيات الكريمة أنواع القلوب وصفاتها الحسنة، وحدد أمراضها، وأشار إلى طرق علاجها. تفصيله في ثنايا البحث.
- اختلف السلف في تعداد أنواع القلوب في القرآن الكريم , ففي رأي بعض العلماء أن القلوب المذكورة في القرآن الكريم هي على سبعة أنواع ومنهم الفيروزآبادي, وفي رأي بعض العلماء أن القلوب المذكورة في القرآن الكريم هي على ثلاثة أنواع, لكن القول الراجح والصحيح أن أنواع القلوب وأقسامها- من خلال تتبع آيات القرآن الكريم- أربعة. وهي كما يلي:

القلب السليم

قلب المريض

القلب المطبوع عليه

القلب القاسي الميت .

ولكل من الأقسام المذكورة تعريفات وأسماء وصفات من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ــ على صاحبها ألف صلوت وتسليمات ــ لدى العلماء. تفصيله في ثنايا البحث.

- قد ذكرت الأمراض مع أقسامها التي تعرض على القلوب في الأحوال المختلفة ك النفاق , قساوة القلب, الحقد على الآخرين, الشك والريبة كما أني ذكرت معها آثار الأمراض على حياة الفرد والمجتمع من نواحي العقدية , والأخلاقية. تفصيله في ثنايا البحث.
- كما أني ذكرت طرق التخلص من هذه الأمراض العارضة على القلب وطريقه للعود إلى السلامة والإطمئنان وإلى الحالة التي خلق الله تعالى القلب عليها.منها : علاج أمراض القلوب بالذكر والتلاوة مع كيفيته, وعلاج أمراض القلوب بالخوف والرجاء مع كيفيته, وعلاج أمراض القلوب بالرحمة والرأفة مع كيفيته , وعلاج أمراض القلوب

بالتذكر والاعتبار بالآخرين مع كيفيته كما أني ذكرت أثر التذكر والاعتبار بالآخرين على الفرد والمجتمع. تفصيله في ثنايا البحث.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة الدين بالإخلاص , وأن يتقبل منا الأعمال الصالحة , وأن يجزينا أحسن الجزاء في الدارين.

وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليما كثيرا كثيرا.

الطالب: الحافظ منصور ظهور أحمد

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

م	فهرس الآيات القرآنية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
1.	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ	البقرة:6	160
2.	خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ	البقرة:7	50 ،17
3.	فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً	البقرة:10	40,16,2
4.	أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ	البقرة:12	81
5.	وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا	البقرة:23	106
6.	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا	البقرة:47	88
7.	ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ	البقرة:74	57
8.	وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ	البقرة:88	17,50
9.	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	البقرة:106	133
10.	وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ	البقرة:118	66
11.	وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ	البقرة:143	78
12.	فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ	البقرة:152	122,123,127
13.	فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ	البقرة:200	123
14.	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ	البقرة:204-205	95,98
15.	أَوَلَمْ تُؤْمِنْ	البقرة:260	104
16.	وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ	البقرة:283	37
17.	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا	البقرة:286	45
18.	فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ	آل عمران:7	17
19.	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ	آل عمران:31	31
20.	إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ	آل عمران:120	79,97
21.	وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ	آل عمران:133-135	124
22.	ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ	آل عمران:135	41
23.	انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ	آل عمران:144	8,9

24.	لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ	آل :156	17
25.	وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ	آل عمران:159	37
26.	يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ	آل عمران:167	3
27.	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ	آل عمران:173-174	143
28.	فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	آل عمران:175	135,142
29.	لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ	آل عمران:188	75
30.	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ	آل عمران:190-191	123
31.	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍبِشَهِيدٍ	النساء:41	130
32.	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ	النساء:60-63	82
33.	فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً	النساء:103	123
34.	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا	النساء:137-139	79
35.	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ	النساء:142	79
36.	مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَىَ هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ	النساء:143	40
37.	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ	النساء:145	70,72
38.	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا	النساء:146	29
39.	فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللهِ	النساء:155	51
40.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ	المائدة:6	114
41.	وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ	المائدة:13	57
42.	إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	المائدة:33	80
43.	يَا أَيُّها الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ	المائدة:41	3
44.	يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ	المائدة:51-52	65
45.	ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ	المائدة:198	139
46.	وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ	الأنعام:25	9,53,124
47.	وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللهِ يَجْحَدُونَ	الأنعام:33	64

48.	وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ	الأنعام:42	83
49.	فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا	الأنعام:43	57
50.	فَلَمّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ	الأنعام:44	48
51.	فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا	الأنعام:45	48
52.	انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ	الأنعام:46	48
53.	وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأَبْصارَهُمْ كَمَا	الأنعام:110	39
54.	كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ	الأعراف:1	112
55.	فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ	الأعراف :15-16	95
56.	رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا	الأعراف:23	119
57.	يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ	الأعراف:31	114
58.	فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	الأعراف:69	152
59.	أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا	الأعراف:96-98	133,152
60.	أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ	الأعراف:99	133,152
61.	إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ	الأعراف:110	41
62.	لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ	الأعراف:179	76
63.	وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ	الأعراف:205	123
64.	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ	الأنفال:2-3	33
65.	وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ	الأنفال:10	9
66.	يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ	الأنفال:24	2
67.	لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا	التوبة:42	78
68.	إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ	التوبة:45	39
69.	وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى	التوبة:54	79
70.	أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ	التوبة:63	81.
71.	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	التوبة:67	70
72.	وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ	التوبة :75-76	39
73.	الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	التوبة:79	74,81

74.	اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ	التوبة:80	80
75.	وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً	التوبة:84	80
76.	وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ	التوبة:86	49
77.	وَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ	التوبة :87	9,49,82
78.	إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ	التوبة:93	49
79.	يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ	التوبة:94	82
80.	ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم	التوبة:127	84
81.	إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا	يونس:11	151
82.	فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ	يونس:94	104
83.	إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ	هود:54	142
84.	وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ	هود:59-60	64
85.	وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	هود:61	111
86.	قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا	هود:62	110
87.	وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ	يوسف:45	118
88.	وَيَقُولُ الذين كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ	الرعد:27	128
89.	وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ	الرعد:28	28
90.	أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ	الرعد:28	83,128
91.	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ	إبراهيم:9	110
92.	قالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ	إبراهيم:10	107,111
93.	قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ	إبراهيم:11	107
94.	وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا	إبراهيم:34	152
95.	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	الحجر:9	117
96.	إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ	الحجر:42	30
97.	نَبِّىء عِبَادِى أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ*وَأَنَّ عَذَابِى	الحجر:49-50	139
98.	وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ	الحجر:56	133,134
99.	إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ	النحل:22	16,39
100	وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ	النحل:53	152
101	وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ	النحل:66	28

102	إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ	النحل:106	17
103	وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ	الإسراء:45-47	124
104	وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ	الإسراء:57	133,136,139
105	واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب	الإسراء:64	84
106	وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ	الكهف:28	17
107	فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا	الكهف:110	29
108	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ	مريم:96	31
109	وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي	طه:13	124
110	فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى	طه:16	142
111	لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ	الأنبياء:3	37
112	إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا	الأنبياء:90	136,139
113	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ	الأنبياء:107	146,148
114	يا أَيُّها النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْث	الحج:5-7	108
115	لِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى	الحج:32	27
116	فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ	الحج:46	12
117	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ	الحج:52-54	19
118	فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ	الحج:54	32
119	وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَواْ وَقُلُوبُهُمْ	المومنون:60	19,27
120	بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا	المومنون:63	44
121	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ	النور:2	146
122	قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم	النور:30	84
123	أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوَاْ أَمْ يَخَافُونَ	النور:50	39
124	وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ	الفرقان:40	.86
125	إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ	الشعراء:89	16,17,22,28,114
126	وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُم	النمل:14	63,64
127	قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ	النمل:65-68	108
128	فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ	القصص:21	142

129	وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ	العنكبوت:21	8
130	اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ	العنكبوت:45	123
131	وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ	العنكبوت:47	65
132	يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	الروم:7	91
133	وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً	لقمان:20	152
134	وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ	لقمان:31-32	29
135	يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا	السجدة:16	139
136	وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ	الأحزاب:10	9
137	فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ	الأحزاب:32	37,40,41,44
138	وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ	الأحزاب:35	123
139	يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً	الأحزاب:41-42	122,130
140	لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ	الأحزاب:60	44,77
141	مَلْعُونِينَ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا	الأحزاب:61	77
142	أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ	الزمر:3	29
143	أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءانَاءَ ٱلَّيْلِ سَٰجِداً وَقَائِماً	الزمر:9	136
144	أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ	الزمر:22	2,60
145	وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ	الزمر:45	124
146	قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ	الزمر:53	133
147	وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَآءَ رَبَّهُ	الصافات:33-34	21
148	وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ	غافر:27	85
149	قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ	غافر:35	54
150	وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا	فصلت:5	50
151	ذٰلِكَ جَزَاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ	فصلت:28	65
152	وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ	الشورى:25-28	135
153	وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ	الزخرف:44	117,122
154	فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ	الزخرف:54-56	89
155	لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ	الدخان:8-11	112

156	رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا	الدخان:12-16	112
157	وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً فَما أَغْنى	الأحقاف:26	65
158	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ	محمد:29-30	38
159	وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ	الفتح:6	112
160	سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا	الفتح:11-12	95,99
161	وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ	الفتح:29	31
162	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ	الحجرات:1	115
163	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ	الحجرات:12	115
164	قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ	الحجرات:17	115
165	هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ	ق:32	33
166	وما أنا بظلام للعبيد	ق:29	47
167	مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ	ق:33	16
168	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ	ق:37	9,10
169	وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ	الرحمن:46	142
170	أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ	الحديد:16	33
171	لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ	المجادلة:22	3
172	تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ	الحشر:14	15
173	هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً	الحشر:31	130
174	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد	الصف:5	38
175	وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	الجمعة:10	123
176	إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ	المنافقون:1-2	75
177	يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا	المنافقون:9	123
178	وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ	التغابن	2 .
179	يأَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ والْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ	التحريم:9	73
180	سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ*وَأُمْلِي لَهُمْ	القلم:44-45	132
181	مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً	نوح:13	138
182	وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ	المدثر:31	44,109
183	فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ	المدثر:49	118

184	إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ	المطففين:13	52
185	كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ	المطففين:14	16
186	ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ	المطففين:16	62
187	خِتَامُهُ مِسْكٌ	المطففين:26	46
188	وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ	الشرح:4	117
189	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	البينة:5	29
190	إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ	النصر:1-2	148

فهرس الأحاديث والآثار

المسلسل	طرف الحديث والأثر	الصفحة
.1	أتاكم أهل اليمن، هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا، وأَلْيَنُ أَفْئِدَةً)	10
.2	إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه، خرج من	114
.3	أرأيتم صنيعكم هذا الّذي صنعتم في أمر عليّ. أرأيا رأيتموه	74
.4	أصاب النّاس فيه شدّة. لا تنفقوا على من عند رسول الله	75
.5	فقال النبي صلى الله عليه وسلم «نعم»، فقرأت سورة النساء	130
.6	أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله	134
.7	إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ	151
.8	إنّ الجبل لينادي الجبل باسمه يا فلان هل مرّ بك أحد ذكر	126
.9	أنّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها،	38
.10	إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ،	153
.11	إِنَّ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ	102
.12	إنّ الله إذا أحبّ عبدا دعا جبريل فقال: إنّي أحبّ فلانا	37
.13	إنّ الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلّا جعل لها حدّا	152
.14	إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ	37,41,155
.15	إنّ الميّت يصير إلى القبر. فيجلس الرّجل الصّالح في قبره،	109
.16	أنّ رجالا من المنافقين، في عهد رسول الله صلى الله عليه	75
.17	أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انصرف من اثنتين	107
.18	إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ	2
.19	أنا أولى بالشّكّ من إبراهيم	104
.20	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	3
.21	إننا إذا كنا عندك فإننا نخشع حتى كأننا نشاهد الجنة والنار،	85
.22	أنّها سئلت عن أكل الصّيد للمحرم إذا لم يصبه، فقالت:	107
.23	آية الإيمان حبّ الأنصار، وآية النّفاق بغض الأنصار»	73
.24	آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف،	73

.25	بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم	115
.26	تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس	101
.27	تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا	66
.28	تفتح أبواب الجنّة يوم الاثنين، ويوم الخميس. فيغفر لكلّ	103
.29	تقتلون الصّبيان فما تقتلهم	148
.30	تلك صلاة المنافق. يجلس يرقب الشّمس. حتّى إذا كانت	79
.31	ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ رَجُلٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ	29
.32	ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهنّ، فإنّ الله يغفر له	100
.33	ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه	108
.34	جاء ابنه، عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه	80
.35	جاء رجل إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، من بني فزارة،	111
.36	جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها. فأطعمتها ثلاث تمرات.	148
.37	حديث حنظلة بن الربيع –رضي الله عنه– «نافق حنظلة	71
.38	الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشبّهات لا يعلمها كثير	102
.39	دخل على شابٍّ وهو في المَوْتِ، فقَالَ: ((كيف تَجِدُكَ؟))	139
.40	دخلوا في الإسلام فوجا فوجا	148
.41	دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنّ الصّدق طمأنينة، وإنّ	107
.42	ذهب الذّاكرون الله بالخير كلّه	126
.43	ربّ أعنّي ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ،	103
.44	زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة	151
.45	سيصيب أمّتي داء الأمم، فقالوا: يا رسول الله وماداء الأمم؟	102
.46	سئل عن الكبائر فقال: الشرك بالله واليأس من روح الله	134
.47	شيّبتني هود وأخواتها	140
.48	الشّيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس،	126
.49	عقل شبه العمد مغلّظة، مثل عقل العمد، ولا يقتل	102
.50	عينان لا تمسهما النار أبداً، عين بكت من خشية الله،	140
.51	فما ذكره عبدٌ قطّ وهو في ضيق إلا وسعه عليه، ولا ذكره	151
.52	قام رسول الله؟ من الليل، فصلّى فأطال السجود	100

.53	القلب السليم: هو الذي يعلم أن الله حق،	21
.54	قلب المنافق بأنه (منكوس)	46
.55	كان الناس يسألون رسول الله؟ عن الخير، وكنت أسأله عن	101
.56	كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة	148
.57	كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلّم. قال: فوقع في	75
.58	كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ -رضي الله عنه-، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ	66
.59	لا أجمع على عبدي خوفَين، ولا أجْمع له أمنَين	140
.60	لا أقول لكم إلّا كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم	34
.61	لا تجالسوا العلماء إلا إذا دعوكم من خمس إلى خمس	106
.62	لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بِوَجْهٍ طَلْقٍ	116
.63	لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا،	115
.64	لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله عز وجل فإن كثرة الكلام	83,89
.65	لا تمار أخاك ولا تمازحه	84
.66	لا يبلّغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا، فإنّي أحبّ أن	102
.67	لا يدخل الجنةَ مَن كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كبر	115
.68	لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ، حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه،	116
.69	لا يقعد قوم يذكرون الله- عزّ وجلّ- إلّا حفّتهم الملائكة،	125,154
.70	لا يؤمن أحدكم، حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه	115
.71	ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء.	76
.72	ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا	149
.73	ما جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ	154
.74	مثل الّذي يذكر ربّه والّذي لا يذكر ربّه مثل الحيّ والميّت»	126
.75	المزاح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد	95
.76	مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ تَعَالَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ عَلَى	30
.77	من أكثر ذكر الله برأ من النّفاق	127
.78	من سرّه أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء	80
.79	مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ	24
.80	مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا، أو ليصمت	116

.81	النعيمة والشتيمة والحميّة فى النار	100
.82	هَلَّا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ	42
.83	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَصُبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا،	154
.84	وإن أعطى أعطى لله، وإن مَنع مَنع لله،	114
.85	وإنّ جلاء القلوب ذكر الله- عزّ وجلّ-»	126
.86	يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه؟	125
.87	يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ	153
.88	يأتيني خبر السّماء صباحا ومساء	76
.89	يارسول الله اتق الله	82
.90	يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنّة»	100
.91	يطّلع الله إلى عباده ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمؤمنين	100
.92	يطلع عليكم الآن من هذا الفجّ رجلٌ من أهل الجنّة	153
.93	يطوف الرّجل بالبيت ما كان حلالا حتّى يهلّ بالحجّ،	126

فهرس الأعلام المترجم لهم

المسلسل	أسماء الأعلام	الصفحة
.1	ابن القيم	18
.2	ابن الوراق	25
.3	ابن رجب البغدادي	22
.4	ابن سيرين	21
.5	ابن عاشور	24
.6	ابن عطية	23
.7	ابن فارس	8
.8	ابن كثير	26
.9	ابن منظور	56
.10	أبو منصور الأزهري	9
.11	الجرجاني	42

.12	جنيد البغدادي	33
.13	الرازي	23
.14	الراغب الأصفهاني	8
.15	سعيد حوى	11
.16	سيد قطب	38
.17	الشعراوي	30
.18	الطبري	21
.19	عبد الرحمن السعدي	40
.20	الغزالي	10
.21	الفراء	10
.22	الفيروزآبادي	10

فهرس المصادر والمراجع

- ✓ القرآن الكريم
- ✓ إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت .
- ✓ الأخلاق الإسلامية وأسسها لسعد الرحمن الميداني ط بيروت 1422هـ.
- ✓ أدب الدنيا والدين:علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة تاريخ النشر: 1986م,
- ✓ الأساس في التفسير، لسعيد حوي، ط: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط:1، 1405هـ)

الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.

- ✓ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ✓ أمراض القلب وشفاؤها، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1399هـ،
- ✓ أمراض القلب وشفاؤها، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1399هـ،
- ✓ أيسر التفاسير للجزائري للشيخ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائريالناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط: الخامسة، 1424هـ/2003م
- ✓ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (3/ 104) تحقيق : صدقي محمد جميل ط:1420هـ ، مط:دار الفكر – بيروت ط: عام 1320هـ.
- ✓ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: 6.

- ✓ التحرير والتنوير – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ،
- ✓ التدرج الدلالي لوصف القلب في القرآن الكريم، د .زينب كامل كريم، مجلة كلية تربية للبنات، المجلد: (21)، 1، 2010م،
- ✓ التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ).ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر,الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط: الأولى 1403هـ -1983م.
- ✓ تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ
- ✓ تفسير ابن كثير ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م .
- ✓ تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ – 2002 م .
- ✓ تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ .
- ✓ تفسير السمرقندي = بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).
- ✓ تفسير الشعراوي – الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم .
- ✓ تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ط: الثانية، 1384هـ - 1964 م

- ✓ تفسير الماوردي – النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان .
- ✓ تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق للشيخ علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: 421هـ) .حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب الناشر: مكتبة الثقافة الدينية , ط: الأولي بدون عام الطبع.
- ✓ تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)،المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
- ✓ التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة ط: الأولى، 1410هـ-1990م.
- ✓ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

تيسير الكريم الرحمن_ المعروف ب تفسير السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)

- ✓ جامع البيان في تأويل القرآن- تفسير الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
- ✓ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، 1422هـ - 2001م.
- ✓ جامع العلوم والحكم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)ت: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ط: السابعة، 1422هـ - 2001م.

- ✓ جامع معمر بن راشد(منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) (10 / 442) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت ط: الثانية، 1403هـ.
- ✓ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م .
- ✓ حقيقة القلوب في القرآن الكريم، لسيد عادل العلوي، ط: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، إيران قم، ط:1، 1421هـ.
- ✓ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.
- ✓ الداء والدواء لعبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691 - 751) ت: محمد أجمل الإصلاحي وخرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة ط: الأولى، 1429 هـ.
- ✓ الدر المنثورعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)الناشر: دار الفكر - بيروت .
- ✓ الروح - الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- ✓ الروح للشيخ شهاب الدين الآلوسي ت: علي عبد الباري عطية مط:دار الكتب العلمية بيروت ط: الأولى : 1415هـ.
- ✓ زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ .
- ✓ الزواجر عن اقتراف الكبائر للشيخ أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ) الناشر: دار الفكر ط: الأولى، 1407هـ - 1987م

- ✓ سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي،
- ✓ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- ✓ سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
- ✓ السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- ✓ الصحاح للجوهري2/ 466 تحقيق:أحمد عبد الغفور مط: دار الملايين بيروت ط: الرابعة: 1407 هـ - 1987
- ✓ صحيح مسلم- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
- ✓ ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ.
- ✓ عون المعبود في شرح سنن أبي داؤد لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الثانية، 1415هـ.
- ✓ فتح الباري للشيخ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلانيالشافعي. الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379
- ✓ الفروق اللغوية، الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

- ✓ الكبائر للذهبي أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ) الناشر: دار الفكر الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م.
- ✓ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للشيخ أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ط:الثالثة - 1407هـ.
- ✓ لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظورالأفريقي، مط:دار صادر بيروت لبنان ط: الأولى 1300هـ وط: الثالثة : 1414هـ وأيضا: وجمهرة اللغة:لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) ت: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ط: الأولى، 1987م.
- ✓ لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ .
- ✓ مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م .
- ✓ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.
- ✓ المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم , كتاب الرقاق,
- ✓ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990م،"
- ✓ المستطرف في كل فن مستطرف :شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: 852هـ) (ص 133). الناشر: عالم الكتب – بيروت ط: الأولى، 1419 هـ.
- ✓ مسند أحمد= مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ .

- ✓ مسند شهاب القضاعي للشيخ أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: 454هـ) , الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت– ط: 1407.
- ✓ معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) ت: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م.
- ✓ معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)المحقق: عبد السلام محمد هارونالناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
- ✓ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- ✓ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- ✓ المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط:الأولى - 1412 هـ .
- ✓ المفردات في غريب القرآن، بو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ .
- ✓ موسوعة الأخلاق الإسلامية لخالد بن جمعة بن عثمان الخراز الناشر: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت ط: الأولى، 1430 هـ - 2009 م-
- ✓ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت ط: الأولى، 1404هـ - 1984م.
- ✓ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م.
- ✓ النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

- ✓ الوابل الصيب من الكلم الطيب للشيخ ابن القيم الجوزية وهذه رسالة بعث بها الإمام ابن القيم إلى بعض إخوانه يدور قطب رحاها على بيان فضل ذكر الله – عز وجل –، وعظيم أثره وفائدته، وجليل مكانته ومنزلته، ورفيع مقامه ودرجته، وجزيل الثواب المعد لأهله، المتصفين به، في الآخرة والأولى .
- ✓ لمواقع الشبكية :

http://www.saidhawwa.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
كلمة شكر وتقدير	
خطة البحث	6
مقدمة البحث	2
أهمية الموضوع	2
أسباب اختيار الموضوع	4
الدراسات السابقة	4
أسئلة البحث	4
منهج البحث	4
خطوات البحث	5
التمهيد: **معنى القلب وبيان الفرق بين المصطلحات التي يظن ترادف في الموضوع**	6
الفصل الأول: أنواع القلوب	14
تمهيد الفصل الأول:	15
المبحث الأول: القلب السليم	21
المبحث الثاني: القلب المريض	35
المبحث الثالث:القلب المطبوع عليه	46
المبحث الرابع: القلب القاسي الميت	57
الفصل الثاني: **أمراض القلوب وأثرها على الفرد والمجتمع.**	69
المبحث الأول: النفاق وأثره	70
المبحث الثاني: قساوة القلب وأثرها-	83
المبحث الثالث: الحقد على الآخرين وأثره .	92
المبحث الرابع: الشك والريبة وأثرها	104
الفصل الثالث: **علاج أمراض القلوب وأثرها على الفرد والمجتمع.**	133

المبحث الاول: علاج أمراض القلوب بالذكر والتلاوة	117
المبحث الثاني: علاج أمراض القلوب بالخوف والرجاء	132
المبحث الثالث: علاج أمراض القلوب بالرحمة والرأفة	144
المبحث الرابع: علاج أمراض القلوب بالتذكر والاعتبار بالآخرين	151
الخاتمة مع أهم نتائج البحث	157
فهرس الآيات القرآنية	160
فهرس الأحاديث والآثار	168
فهرس الأعلام المترجم لهم	171
فهرس المصادر و المراجع	173
فهرس الموضوعات	181